الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة د. مولاي الطاهر – سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ بعنوان:

الزيانيون وازمات المجتمع

إشراف الأستاذ:
بوداعة نجادي

من إعداد الطالبة:
- **حبيبي عبد الرزاق**
-

لجنة المناقشة:

- .....رئيسا
- أ.....مشرفاً و مقرراً
- ..... مناقشاً

السنة الجامعية:
1435-1434 هـ/ 2013 -2014 م

دعاء

يا رب.....لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا أصاب باليأس.

إذا فشلت..... بل ذكرني دائما فان الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح.

يا رب..... علمني أن التسامح هو اكبر مراتب القوة و أن حب الانتقام مظاهر الضعف.

يا رب..... إن جردتني من المال انزل لي الأمل وان جردتني من النجاح انزل لي قوة العناد حتى التغلب على الفشل.....وان جرد مني من نعمة الصحة اترك لي نعمة الصحة اترك لي نعمة الإيمان.

يا رب.....إذا أسأت إلى الناس أعطي شجاعة الاعتذار وإذا أساء الناس لي أعطني شجاعة العفو.

يا ارب..... إذا نسيتك لا تنساني.

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

قالى الله تعالى:" قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك وإلا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الإمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير و الاحترام والشكر الكبير إلى الأستاذ المؤطر بوداعة نجادي الذي لم يبخل علينا بتوجهاته وسعت صدره في تذليل الصعوبات وأجمل ما يمكن أن نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن الحوت في البحر والطير في السماء ليصلون على معلم الناس الخير" كما لا ننسى بتوجه خالص الشكر إلى كل من الأستاذ شباب عبد الكريم الذي كان خير عون وسند لنا وكذلك الأستاذ بوداعة نجادي بالامتنان له والعرفان و إلى كل أستاذة قسم تاريخ.

إهداء

أهدي هدا العمل المتواضع...
إلى من أجمل اسمه بكل فخر...
إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح
الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر إلى والدي العزيز الغالي "عبد القادر"
إلى من علمتني و عانت صعاب لأصل إلى ما أنا فيه،
عندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي أمي الحنونة "رملية"
إلى النور الذي ينير لي درب النجاح و هي من علمتني الصمود مهما تبدلت الظروف إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها "الحاجة زهرة"
إلى من شجعتني إلى الدراسة و وقفت جنبي لتحدي الصعاب و رفيق دربي "عمر"
إلى إخوتي و أخواتي: الكتكوت محمد- مريم- رشيدة – نصيرة وحفيظة
و إلى كل من ساعدني من قريب و بعيد
و إلى كل طلبة معهد التاريخ دفعة "تاريخ" 2013 / 2014

عبد الرزاق

مقدمة :

عرف المغرب الاسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية 10- ه -13 م ثلاث دول الزيانية والحفصية والمرينية ،ويتناول عملنا " الزيانيون وازمات المجتمع"الدراسات التاريخية المتعلقة بالجوانب الإجتماعية لتلمسان ، وترتكز هذه الدراسات على حياة الدولة الزيانية التي ظهرت ككيان مستقل عن الدولة الموحدية على يد أميرها " يغمراسن بن زيان الذي ولي إمارة تلمسان بعد ملك أخيه عزة بن زكدان بن زيان سنة 633هـ/ 1253 م ، لم يدعو يغمراسن لنفسه بالرغم من ضعف الدولة الموحدية إلا بعد مهلك السعيد إبن إباديس الموحدي سنة 646 هـ / 1248 م .

إلا بعد مهلك السعيد بن إدريس الموحدي سنة 646 هـ / 1248 م .

جعل الموقع الجغرافي من تلمسان منطقة صراع بين القوى التي كان تجاورها وهذا ما زعزع إستقرارها في العديد من المرات .

فقد توسطت هذه المدينة دولتين قويتين ، الدولة الحفصية من الشرق ، والدولة المرينية من المغرب ، فكانت كل واحد تسعى إلى بسط نفوذها على

المنطقة ، والمتصفح لأطوارها التاريخية يلمس ذلك الإضطراب وتأثيره على ميادينها الحساسة، وبالرغم من ذلك فقد شهدت إزدهار في جميع الميادين .

حظي الجانب السياسي لهذه الدولة بعناية من طر ف الباحثين ، على حساب الجوانب الحضارية الأخرى ، فجل المصادر التاريخية تركز على الجانب السياسي غير أن كتب الفقه التي نتجت عن النوازل المختلفة سواءا كانت تتعلق بالعبادة أو المعاملة التي برع فقهاء المالكية المغاربة في تدوينها ، خلفت تراثا فقهيا زاخر يحمل بين طياته مختلف الفوائد المتعلقة بأصول الأحكام وطرق التطبيق .

كما كانت حصيلة هذه الفتاوي مئات المؤلفات النوازلية التي تحكي ظروفا إجتماعية وإقتصادية متناثرة بين المغرب والأندلس .

من هذا ندرك أهمية الدراسة الإجتماعية التي تسلط الضوء على الجوانب هامة من التاريخ الحضاري لتلمسان التي تنقص فيها المادة في الكتب التاريخية

. وتهدف هذه الدراسة التاريخية الى

ـ محاولة دراسة الأوضاع الإجتماعية في تلمسان ، الزيانية .

إعطاء صورة شاملة عن المجتمع التلمساني .

وإنطلاقا مما سبق يمكن صياغة التساؤل الرئيسي التالي :

ـ مما يتكون المجتمع التلمساني ؟ وما هي أهم فئاته ومكوناته؟

ـ ـ ماهي أهم الأوضاع التي شهدتها تلمسان ؟ وهل للأوضاع السياسية أثر عليها ؟

ـ لمعالجة مختلف جوانب الموضوع ، والإجابة على الأسئلة تم الإعتماد على المنهج الإستنباطي بأداتيه الوصف والتقرير وهذا لإبراز مختلف الجوانب النظرية المتعلقة بالموضوع كإبراز حياة المازوني ، ذكر شيوخه وتاريخ وفاته ، وكذلك تم الإعتماد على المنهج الإستقرائي من خلال إتسخراج المادة التاريخية المتضمنة في الدرر المكنونة ذات الصلة بتلمسان ، تحليلها ومقارنتها مع ما ورد من معلومات في المصادر التاريخية التي أتيح لنا الإطلاع عليها .

وعلى حسب إطلاعنا وفي ب ما توفر لدينا من معلومات ومراجع ، قد تمكنا من الإطلاع على الدراسات التالية ذات الصلة بالموضوع التي تجمعنا بها نقاط مشتركة:

دراسة بسام كامل عبد الرزاق شقدان (مذكرة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية نابلس ، 2002) بعنوان تلمسان في العقد الزياني (633 هـ 922 هـ - 1235 م / 1555م) حيث تطرق الباحث إلى جملة من المحاور ، والتي منها تلمسان من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الأدارسة ، الحياة الإجتماعية في تلمسان ، وأهم ما توصلت إليه الدراسة هو أن إرتفاع مكانة تلمسان الإقتصادية في عهد الدولة الزيانية كان سبب موقعها الجغرافي القريب من البحر مما مكنها من التحكم بحركة المرور نحو المغرب الأقصى والأدنى وتحكمها بالحركة التجارية بين الشمال والجنوب ، وبروز تلمسان في المغرب عاد بفائدة على المغرب الإسلامي وهذا لموقع تلمسان الذي يسمح بإختلاط القبائل البربرية من خلال العمل بالجيش والسكن داخل المدينة ومساجدها ، مما ساعد على إنتشار اللغة العربية في المنطقة وإعتبارها اللغة الرسمية.

.

لمعالجة هذا البحث بمختلف جوانبه تم تقسيمه إلى مدخل و ثلاثة فصول مع مقدمة في البداية وخاتمة في النهاية كما يلي :

المدخل: كيفية نشاة الدولة الزيانية.

الفصل الأول :يعالج فيه فئات و طبقات المجتمع الزياني حسب الريف او المدينة

الفصل الثاني : يدرس أهم ج الثالث : حاولنا فيه التطرق الى ازمات المجتمع من مشاكل واوبئة وامراض.

الفصل الرابع : نعطي فيه صورة عن الرعاية الاجتماعية وكذا انظمة مكافحة الفساد عرض ونقد المصادر :

تعددت المصادر التي إعتمدنا عليها في الدراسة وتنوعت مشاربها وتباينت طريقة عرضها للحدث التاريخي الخاص بحياة المجتمع بحسب توجهاتها ، والتي نذكرها مرتبة بحسب أهميتها لهذه الدراسة .

1 ـ كتب النوازل والفتاوي :

ـ كتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازنة " لأبي زكريا يحي بن عيسى المغيلي المازوني (ت 883 هـ ـ 1478 م) ، جمع فيه فتاوى المتأخرين من فقهاء المغرب الإسلامي ، ومن أبرزهم محمد بن مرزوق ، سعيد العقباني وأبو القاسم العبدوسي وغيرهم ، ويعد هذا الكتاب من أهم مراجع الفقه المالكي بالمغرب الإسلامي خلال الفترة المتأخرة من العصور الوسطى .

فقد عالج في كتابه أهم المشاكل المستحدثة في تلك الفترة ، ويعطي تصورا واضحا عن الظروف الإجتماعية لمختلف فئات المجتمع .

ـ " المعيار المعرب والجامع عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب " لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914 هـ / 1508 م) .

تكمن أهمية هذه الموسوعة الفقهية أن صاحبها جمع فتاوي الفقهاء الذين سبقوه والمعاصرين له في مـ د ٰقضايا ، شملت إهتماماته كل الغرب الإسلامي ، غير أن جل الفتاوى التي ذكرها في كتابه إستمدها من نوازل المازوني ولهذا نجدها مكررة عنده ، إلا أنه أفادنا كثيرا لتحدثه عن نفس الفترة التي تطرق إليها المازوني وكتابه زاخر بالقضايا الإقتصادية والإجتماعية .

2 ـ كتب المناقب :

ـ " المناقب المزوقية " لإبن مرزوق أبو عبد الله محمد بن أحمد الشهري بالخطيب (ت781هـ / 1379 م) وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة تراجم لأسرة إبن مرزوق الخطيب ، عرف فيها المؤلف بحياة العلم، الزاهد والصلاح التي إشتروا بها حتى ظلوا في حضرة السلاطين : وأهمية هذا المصدر بالنسبة لدراستنا هو أنه يكشف عن جوانب مهمة من الحياة الإقتصادية والإجتماعية في تلمسان ، والدور التي جسدته أسرة المزارقة لإشتهارها إضافة إلى العلم بالتجارة .

ـ " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن " لإبن مرزوق ، قسم المؤلف الكتاب إلى عدة أبواب كل باب خصصه لصفه من صفات السلطان أبي الحسن المريني (731 هـ / 752 هـ ـ 1330 م / 1331 م / 1351 م) ونظرا ..... لتداخل المسارات السياسية ، العسكرية

والإقتصادية بين المغربين الأوسط والأقصى ، فقد أفادنا هذا الكتاب ف مواضيع كثيرة بمادة قيمة وثرية ، خاصة في جوانب الحياة الإجتماعية .

3 ـ كتب التاريخ العام :

ومن محاسن هذا الصنف من الكتب أنها تعطي لنا زمنية الحدث ، مما يسمح لنا بالتتابع الكرونولوجي لمختلف الأحداث الإجتماعية ، لكن لا توافينا بمعلومات كافية عن الأحداث الإجتماعية الإقتصادية إلا في بعض الحالات القليلة .

ـ " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) تضمن الجزء السابع منه تاريخ الدولة الزيانية ، فتتبع أحداثها السياسية والعسكرية وما تعرضت له من إضطرابات ومضايقات من طرف جيرانها خاصة المرينيين ، وق تطرق إلى بعض الجوانب الحضارية التي رغم قلتها وندرتها في مصنفه هذا إلا أنها أثرت البحث .

ـ " بغية الرواد في ذكر الملوك بن عبد الواد " لمؤلفه أبي زكريا يحي بن خلدون (ت780هـ / 1978 ن) ويقع هذا الكتاب في جزئين ، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر كون أن المؤلف عاش في ظل الدولة الزيانية ، بل أرخ لملوكها وكان من أحد كتابهم المرموقين ، أورد بعض المعلومات التي تخص الجوانب الحضارية رغم أن كتابه هذا ألفه لغرض مدح وتأكيد الولاء للسلطان أبي حمو الثاني ، فقدمه هدية له.

ويظهر أن يحيى بن خلدون قد أسرف في مدح ملوك هذه الدولة وفي إبراز مظاهر عظمتها ،في حين أنه غض النظر عن العديد من الوقائع التاريخية الهامة .

5 ـ كتب الطبقات والتراجم :

ـ " نيل الإبتهاج بتطريز الديباج " لمؤلفه الشيخ أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي (ت 1036 هـ / 1627 م) وقد أكثر من التأليف وتوزعت مؤلفاته بين الفقه والتراجم ، الحديث والتصوف وغيرها ، ومنها كتاب الإبتهاج الذي وضعه ليكون ذيلا على كتاب الديباج المذهب لإبن فرحون (ت 799 هـ / 1397 م) ، إعتمد على المصادر الشفهية التي عاصر أصحابها والذي أشاروا إلى أنه كان ثقة فيما يرويه عن معاصريه .

يتضمن الكتاب تراجم لإثنين وثمانمائة من أعلام المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، يعد سجلا لأعلام المغاربة إلى أواخر القرن العاشر هجري .

6 ـ كتب الحسبة والأحكام :

ـ " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر " لمحمد العقباني التلمساني (ت 860 هـ / 1455 م) وهو كتاب يرصد فيه صاحبه أوضاع خطة الحسبة وموقف القضاة من بعض المظاهر الإجتماعية .

إن الخوض في مجال الدراسات الإجتماعية من المهام الصعبة وذلك لوجود المادة مبعثرة في المصادر التي أسهبت في ذكر الأحداث التاريخية والسياسية ، لذلك تتبع هذه المادة وجمعها يلزمنا عناءا وصبرا كبيرين بالإضافة إلى سعة الوقت .

المدخل:نشاة الدولة العبد وادية:

اجمع كل من يحي اين خلدون وعبد الرحمن ابن خلدون والتنسي على رواية واحدة ، حول الكيفية التي وصل بها قبيل بني عبد الواد الى الحكم.

وخلاصة روايتهم: ان السيد ابا سعيد عثمان شقيق المأمون سلطان الموحدين كان واليا على مدينة تلمسان فاعتقل بعض مشائخ بني عبد الواد فسعى اليه ابراهيم ابن اسماعيل ابن علان الصنهاجي اللمتوني متشفعا فيهم فرد السيد ابو سعيد شفاعته، فغضب لذلك وثار عليه فاعتقله. ثم اطلق سراح مشائخ بني عبد الواد، ولكنه تمادى الى ابعد من ذلك اذ خلع طاعة الموحدين، وطمح في اعادة بعث الدولة اللمتونية، واعتقذ ان ذلك لن يتم له الا بالقضاء على العبد الواديين، فاراد ان يحقق منارب بالتحايل على مشايخ القبيل وقتلهم. فاعد لاولئك المشائخ وليمة دعاهم اليها، بغرض اغتيالهمخ عند وصولهم الا ان خطته اكتشفت، ونتيجة لذلك وقع هو واصحابه اسرى بين ايدي بني عبد الواد. وكان على راس قبيل بني عبد الواد حينئد جابر بن يوسف (عع يغمراسن). فدخل تلمسان واعلن الدعوة للمامون، وبعث اليه معلنا طاعته فعخد له المأمون بتيسسر امور تلمسان وما يليها من بلادج زناتا وكان ذلك 627 ه- 1229م وهكذا اصبح بنو عبد الواد سادة على تلمسان وضواحيها وحاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه واخضاع جيرانه فأطاعه كثيرون وابت ندورمة طاعته، فخرج اليها. فقتل حول اسوارها فخلفه ولده الحسن، ثم تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف فكان هذا الاخير سيء الحكم فثارت عليه الرعية وازاحوا من مهامه/ ثم اسندوها الى

ابي عزة زقدان بن زيان بن ثابت بن محمد غير ان بني مطهر رفظوا مبايعته وحاربوه بمساندة بني راشد وانتهت الفتنة بينهم بقتل ابي عزة الزيدان.

ثم تولى امر تلمسان اخوه يغموراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، وذلك سنة 633ه/- 1235 م فتمكن من اخضاع بني مطهر وبني راشد وجمع كلمتهم في ظل الدولة العبدالوادية:

وسار يغمراسن بن زيان بعد توليه امر تلمسان الى اعلان استقلالته عن دولة الموحديم، واستقل بالحكم دونهم[1].

[1] - ا مكاوي محمد، مذكرة ماجستير، لاوضاع السياسية والثقافية للدولة العبوادية، 200-201 جامعة تلمسان ص 04

الفصل الأول

المجتمع الزياني

كان المجتمع الحضري في تلمسان ، يتكون من السكان الأصليين البربر بالإضافة إلى العرب سواء المستقرين في الحواضر أو الأرياف ، وبعد العدوان الذي شن على الأندلس فقد شهدت سواحل تلمسان نزوح جاليات بشرية كبيرة إستوطنت بها وإندمجت في المجتمع وتفاعلت معها ، بالإضافة إلى طابع إختلاف السكاني تميز المجتمع الحضري بطابع الإستقرار .

وعلى ضوء ما سبق ذكره سنحاول التطرق في هذا الفصل إلى أهم فئات المجتمع من خلال النقاط التالية :

أولا : طبقات المجتمع

1 ـ الطبقة الخاصة .

2 ـ الطبقة العامة .

ثانيا : فئات المجتمع

1 - البربر.

2 ـ العرب .

أولا المجتمع الحضري

يقول إبن خلدون في مقدمته : " الحضر متفاوت الأحوال من جنسه قرب حي أعظم من حي ، قبيلة أعظم من قبيلة ، ومصدر لوسع من مصر ، أكثر عيمرانا من مدينة ، فقد تبين أن وجود البدو متقدم عن وجود المدن والأمصار ([2]).

1 ـ الطبقة الخاصة

[2] - أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ، دار القلم ، بيروت ، ط 7 ، 1989 ، ص 127 .

تمكن إبن خلدون من وضع الأسس المادية والإجتماعية والأخلاقية التي تميز الفئات الإجتماعية في المقدمة بقوله : " ثم إن الجاه متوزع في الناس ومرتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو إلى الملوك الذي ليس فوقهم يد عالية ، وفي الأسفل إلى من لا يصلك ضرا ولا نفعا بين أجناسه وبين ذلك طبقات متعددة ([3])،من خلال ما ذكره إبن خلدون فالجاه يعتبر أساس التفاوت الطبقي داخل المجتمع ثم يدقق فكرته يقول : " إن كل طبقة من طباق أهل عمران من المدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق ، وكل واحدة من الطبقة السفلى ما يستفيد منه الجاه على ذلك داخل الناس في جميع أبواب المعاش ، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فإن كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وإن كان ضيقا قليلا فمثله ، وفاقد الجاه وإن كان له مال فلا يكون يساره إلا بمقدار عمله أو ماله ([4])، وبناءا عليه فالطبقة الخاصة أو العامة : هي جماعة تكونت بين أفرادها ترابطات إقتصادية وعاطفية تجعلهم يتضامنون في تعدياتهم على باقي السكان ([5]).

أعطى المازوني في بعض المواضع من كتابه " الدرر المكنونة " إشارات ضئيلة حول صورة الطبقة الخاصة ، دون أن يبرز العناصر الإجتماعية التي تتشكل منها تلك الطبقة ، غير أن المصادر أمدتنا بتفاصيل مهمة حول هذه الطبقة .

تتشكل هذه الطبقة غالبا من الحكام (السلاطين) والموظفين الرسميين للدولة ، فقد فصل يحيى إبن خلدون في ذكر هذه الفئة من

---

[3] ـ نفسه ، ص 390 .

[4] ـ نفسه، ص 390 .

[5] ـ عبد المجيد مزيان ، النظريات الإقتصادية عند بن خلدون ، وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي المؤسسة الوطنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 1988 ، ص 51 .

الموظفين ، حيث تحدث عن السلطان الزياني يغمراسن بن زيان : " إتخذ الوزراء يحيى بن مجن ، ثم أخوه عموش ثم إبنه عمر بعد موته .... ثم يعقوب بن جابر الخرساني ، وحاجبه الأقرب ومشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحباك من فقهاء الحضرة ، وكتاب إنشائه الفقيه أو بمحمد غالب إبن غالب ثم أبو عبد الله محمد بن جدار .... وكاتب عسكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مروان وولده الفقيه أبو حسن علي والفقيه أبو مهدي عيسى بن عبد العزيز وصاحب أشغاله عبد الرحمن بن محمد بن ملاح " .([6])

فقد فصل يحيى إبن خلدون في ذكر بطانه الأمراء الزيانيين ، مقارنة بما ذكر أبو زكريا المغيلي الذي لم يفصل في ذكر الطبقة الخاصة ، ونلاحظ بأن السلطان إستعمل في بطانته الفقهاء والعلماء .

أ ـ الحكام :

يصف إبن خلدون الحكام في مقدمته في قوله " إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا ، فلا بد له من الإستعانة بأبناء جنسه وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه ، فما ظنك .... من إسترعاه الله من خلقه وعباده ، فهو محتاج إلى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم ، وإلى كف العدوان بعضهم ببعض في أنفسهم بإمضاء الأحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سابلتهم (1). من خلال هذا النص الذي أورده إبن خلدون فإن خطة الحكم من أصعب الخطط لما فيها من تكاليف ، وحرص على تطبيق الشرع .

[6] ـ يحي أبو زكريا يحي إبن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد الحاجيات المكتبة الوطنية ، الجزائر، 1980 ، ج 1 ، ص 205 ، 204 .

أفادنا المازوني في أحد نوازله ببعض الإشارات حول سلاطيين بقوله " فتوى صدرت من الشيخ الفقيه الإمام العلامة أبي موسى عمر بن موسى بن يوسف المجدالي ، نزيل تلمسان المحروسة في حكم إتخاذ الركاب من خالص الذهب والفضة حيث سأل عن ذلك السلطان الإمام الشهير الكبير " ([7])،من خلال النازلة تتضح لنا أن هؤلاء السلاطين وصلوا إلى رقى ومرتبة عالية جدا وهذا دليل على الرخاء الذي عاشوا فيه في كثير من مراحل الدولة .

كما عمد هؤلاء السلاطين لتقريب الفقهاء والعلماء وهذا لشغفهم وحبهم للعلم حيث يقول أبو زكريا يحيى المغيلي " سئلت سيدي أبو الفضل العقباني عن جماعة من المرابطين أنعم عليهم السلطان بأرض الحراثة " ([8])،قد قرب هؤلاء العلماء وكثروا عليهم من العطايا والهدايا حتى كسبوا ودهم ، غير أن الكثير من الفقهاء كان يتمنع من الإقتراب من السلاطين .

_إنحصرت السلطة في البيت الزياني ، وورثت يغمراسن على طول مدتها ([9])، إلا في بعض المرات التي خرجت عن سلطتهم فآل الحكم إلى بني مريني أو بني حفص على الرغم من الأبهة التي كانت لسلاطين بني زيان ، غير أن دولتهم عرفت في كثير من الأحيان الضعف والهوان ، ففي هذا الصدد يقول صاحب الدرر المكنونة " سئل محمد العقباني عن هؤلاء الأعراب المتغلبين عن البلاد لضعف السلطنة " ([10])، فقد شهد عصر المازوني ضعف كبير في جهاز الدولة الزيانية أدى إلى

[7] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 317 .
[8] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 19 .
[9] ـ أنظر الملحق رقم 1 – 2 – 3 .
[10] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 419 .

فنائها وإنقضائها، ويرجع سبب هذا الضعف إلى عدة أسباب وعوامل نذكر منها :

ـ إعتماد ملوك بني زيان المتأخرين عن المرنيين أو بني حفص في إعتلاء العرش الزياني ومثال ذلك ما قام به أبو تاشفين الذي أعانه المرنيين في إعتلاء العرش سنة 776 هـ ـ 1372 م فوصل به الضعف إلى حد ضرب السكة بأسمهم والدعوة لهم في الخطب وفع الإتاوات لهم ([11]).

ـ كثرت المؤامرات بداخل البيت الزياني وهذا ما قسم ظهر الدولة ، وعن هذا الوضع يقول عبد الرحمن الجيلالي إذا " علمت كيف كانت وضعية الجزائر السياسة في أواخر عهد الدولة الزيانية من التشتت والإضطراب وما أحاط بها يومئذ من الفتن والمشاكل المتنوعة المهددة بسبب تضافر الدولة المجاورة .... وتزاحم المشيخة والقادة على الرئاسة وتتبع مصالحهم الخاصة بدون مبالات أو التفات إلى مصالح الشعب الوطن ، فإذا علمت كل ذلك تيقنت وأن الدولة الجزائرية يومئذ أشرفت على الهرم لا محال بل وإنها ولا ريب ذاهبة إلى التدهور والزوال ([12]).

ب ـ عمال السلطان (حاشية السلطان) .

يقول الله تعالى : " .....وأجعل لي وزيرا من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري " ([13]) من خلال الآية ، فإن أتخاذ أعوان داخل الدولة يكون لزاما على الخليفة ، ويقول المازوني في أحد النوازل سئل أيضا في كتاب عامل السلطان ثم أن عمل السلطان أخذ

---

[11] ـ محمد طمار ، تلمسان عبر العصور دورها السياسي وحضارة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 ، ص 213.

[12] ـ عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 344 ، 343 .

[13] ـ سورة طه ، أية 20 .

الكتاب في مال وقال قد كتبتك بيد من المال .... " ([14]) لم يشر المازوني إلى إسم الوظيفة الموكلة لهذا العامل ، غير أن المصادر التي كتبت تاريخ الدولة الزيانية ذكرت لنا رتب عمال السلطان كما يلي :

* ـ الوزراء : يسمى إبن خلدون هذه الخطة ، أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن إسمها يدل على مطلق الإعانة ([15])، لم تكن مهام الوزير موحدة في كل الدول بل كانت تختلف من حاضرة إلى حاضرة .

فنجد أن صلاحيات الوزير كانت تتداخل مع صلاحيات الحاجب على حسب هوى السلاطين الزيانيين ونظرا لأهمية منصب الوزير والحاجب فإن التنافس من أجل الوصول إلى هذه المرتبة بين الطامحين للمنصب كانت تستعمل فيه طرق ملتوية كالوشاية وحبك الدسائس وغيرها ، ولذلك ورد في الأثر حول أهمية خطة الوزير والحاجب ([16])،ومصدر أهمية هذه الخطة يتأتى من كون الوزير يقدم النصح والمشورة للسلطان ويضطلع بالكثير من أعباء الحكم ، لذلك يزداد تردد الناس عليه لتسهيل تنفيذ مطالبهم قضاء مصالحهم كما أن منصب الوزير أو الحاجب كان ذو أهمية بالنسبة للسلطة السياسية القائمة حيث أن القيام به على أحسن وجه يعد سببا تلك السلطة ، أما إذا تعسف الحاجب فإنه يجلب السخط والنقمة على الحكم ([17]).

* الكتاب : هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لإستغناء الكثير من الدول عنها كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها

---

[14] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 128 .

[15] ـ إبن خلدون ، مقدمة ، ص 229 .

[16] ـ نفسه ، ص 230 .

[17] ـ عبد الكريم شباب ، صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8 الهجري (13 ـ 14 م) من خلال كتاب العبر لإبن خلدون ، مذكرة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ وعلم الأثار ، وهران ، 2002 ـ 2003 ، ص 7 .

تهذيب الحضارة ولاستلحام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي في العبارة عن المقاصد ، فصار الكاتب يؤدي كله الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر .([18]) من خلال النص يتضح أن للكاتب أهمية كبيرة في المجتمعات المتحضرة ، أورد إبن خلدون في كتابه العبر في إشارات متفرقة العديد من أسماء الكتاب الذين إضطلعوا ببعض المهام السلطانية فالأمير الزياني يغمراسن بن زيان أثناء توليه الحكم إستكتب " أبو بكر بن الخطاب ..... وكان مراسلا بليغا ، وكاتبا جيدا وشاعرا محسنا فأستكتبه " ([19]) . وقد حدد لنا إبن خلدون مهام خطة الكتابة بقوله " ومن خطط الكتابة والتوقيع ، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل متلقاه من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه "([20]).

عن مواصفات الكاتب السلطان يقول إبن خلدون " وأعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يخير من أرفع الطبقات الناس وأهل المروءة والحشمة وزيادة العلم وعارضة البلاغة .... فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم ، فهيما في موضع الحكم ، مقداما .... محجما.... مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف كتوما للأسرا ، وافيا عند الشدائد ،عالما بما يأتي النوازل ، ويضع الأمور مواضعها ([21]).

---

[18] ـ إبن خلدون ، مقدمة ، ص 237 .

[19] ـ إبن خلدون ،العبر ، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 ، ح 7 ، ص 163 .

[20] ـ مقدمة ، ص 238 .

[21] ـ نفسه ، ص 238 ، 239 .

من خلال ما ورد فإن الكتاب يعدون من بين النخبة المثقفة ، يجب أن يكونوا عارفين بالأدب واللغة .

* صاحب الشرطة :

سمي صاحب الشرطة لهذا العهد بإفريقية الحاكم ، وفي دولة الأندلس صاحب المدينة في بعض الأحيان ([22])" وتعد هذه الوظيفة من المناصب السلطانية الهامة في الدولة والمجتمع وكان متولها من حاشية السلطان .

يبدو أن صاحب الشرطة كان يضطلع بمسؤولية على جانب كبير من الأهمية داخل المجتمع فهو يعمل على تقويم الاعوجاج الأخلاقي والاجتماعي ، ويحفظ الأمن الحاصل في المدن ، على وجه الخصوص ([23]).

* الجند :

تحدث المازوني في بعض نوازل عن طبقة الجند داخل المجتمع قائلا " سئل سيدي حمو الشريف عن أرض المخزن يقطعها السلطان لبعض جنوده " ([24]) هذه النازلة توضح لنا أن الجند كانوا يتمتعون بمرتبة ممتازة ، كما تشير النازلة إلى إستمالة السلطان الزياني هؤلاء بالهبات والإقطاعات حتى يضمن ولاءهم وهنالك نازلة أخرى تشير إلى عطايا السلطان كذلك بقوله " الأرض التي لا مالك لها وأعطاه السلطان جنديا فإن أعطاها على القيام بأهل الكفر وحفظ بيضة المسلمين وقتال أهل الفساد والبغي جزاء ذلك ([25])"فقد كان السلطان يمد هؤلاء الجنود للحفاظ

---

[22] ـ نفسه ، ص 241 .

[23] ـ عبد الكريم شباب ، المرجع السابق ، ص 14 .

[24] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ح 4 ، ص 39 .

[25] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 239 .

على أمن البلاد ، ووصفهم حسن الوزن قائلا " أما جنود الملك فكلهم أناس ممتازون أجور ملائمة للغاية إلى حد أن أقلهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكتهم تعادل ثلاثة دوكات ونصف دوكة إيطالية وهذا الأخيرة للرجل والفرس ، كان كل جندي إفريقي مفروض أن يكون فارسا محاربا ، وإضافة إلى الهبات والإقطاعات ، فإن أجورهم كانت مرتفعة كان هؤلاء الجنود يعيشون في نعيم ([26]).

* أشياخ العرب وأمراءها :

قرب ملوك بني زيان العرب إليهم وأعطوهم مناصب ، لقد أفادنا المازوني ببعض النوازل ذكر فيها المشايخ قائلا : " سئل سيدي إبن مرزوق عن رجل صرف عليه رجل من أشياخ العرب ([27])." ويقول في نازلة أخرى " سئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقياني عن رجل مات وعليه دين وترك أرض من بلاد السلطان التي أخذها العرب كما علمتم أحد العرب بيده ظهير من قبل سلطان بتلك البلاد ([28])"، ويقول ذلك " شيخ قبيلة تاب وأورد أن لا يحكم في ناحيته غير أحد الفقهاء " ([29]).

من خلال النوازل المذكورة نستنتج أن شيوخ العرب وأمراءها كان لهم نفوذ على القبائل والقرى التابعة لهم .

ذكر مارمول كربخال أن حكم العرب في بعض مناطق من الدولة الزيانية ، كان يشبه الحكم المركزي يقول : " أعراب الصحاري

[26] ـ حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 21 .
[27] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 18 .
[28] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 25 .
[29] ـ نفسه ، ص 181 .

كثيرون ولا يكترثون إلا قليلا جدا بالملوك تلمسان . " [30]وهذا راجع إلى قوة العرب وضعف السلطة الزيانية كما كان لهؤلاء العرب ترخيص من قبل السلاطين للسيطرة على بعض المناطق .

* القضاة :

أمدنا المازوني بمعلومات قيمة حول القضاة ، فإن هؤلاء يتمتعون بإحترام من طرف الرعية والتقدير من قبل السلاطين ، فهؤلاء يستمعون لشكوى المتخاصمين في مجلس القضاء ، كما تناول المازني حدود وظيفة القاضي من خلال النازلة فقال " سئل بعض فقهاء بلادنا هل يجب على القاضي تفقد أحوال الناس في معاشهم وتصرف الباعة في أسواقهم ، والنظر في المكاييل والموازين التي يبيعون بها ويؤدب من تظهر خيانته أو نقص في بيعه والغش فيما يبيع الناس " [31].

فأجاب عن النازلة بما يلي :

الواجب على القاضي إن لم يكن محتسبا ، مستبدا لذلك أن ينظر في معايش الناس خصوصا الباعة في الأسواق فيتقدمهم ويستكشف عن أمورهم ، ومقاديرها كذلك أرطال الوزن والدرع الذي نصبه الأمير للبيع في أسواقهم ومن غير عليه عاقبة وزجزه لئلا يعود وإن لم ينته طرده من السوق ، والناس لا يتعاملون في الكيل إلا بالصاع الذي نصبه لهم السلطان في بيع الدقيق أو الزعفران أو الثياب التي نسجها ولم يحكم نسجها . [32]

النازلة التي أفادنا بها المازوني تبين لنا صلاحيات القاضي لها تكون مقتصرة على الأحكام أو تشمل مراقبة أحوال الناس خصوصا في

---

[30] - مارمور كربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد حاجي وأخرون ، مكتبة المعارف الجديدة ، الرباط ، د ، ط ، 1984 ، ج 2 ص 292 .

[31] - المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 39 ، 40 .

[32] - المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 40 .

الأسواق ، وهذا العمل يعد من إختصاص المحتسب الذي يعين من قبل القاضي ، وبهذا نستنتج أن القاضي كانت مهمته تتمثل في مراقبة أحوال الناس وإصدار الأحكام ، ومن الوظائف الأخرى الموكلة للقضاة ، ويقول كذلك ".... وقد كنت صدقت بها على إبني وحزتها له وأثبتت ذلك بموجب عقد القاضي ([33])" نستخلص من هذه النازلة أن القاضي هو الذي كان يوثق العقود ويشهد عليها .

أما في النازلة أخرى يذكر " سئل الفقيه سيدي علي بن عثمان عن مسألة وهي أن قاضي باع عن ورثة رشداء ومحاجير دار خلفها مورثهم ([34])"فإن القاضي يعتبر والوصي على المحاجير إذا لم يكن هناك ولي ، ولا يفعل ذلك إلا بعد إستفتاء ومشاورة ، والقاضي في ذلك الوقت كان يحكم بموجب القرآن والسنة ، ونجد أن بعض القضاة كانوا لا يحكمون إلا بمحضر فقهاء ، أشار المازوني لذلك بما نصه "سئل شيخنا أبو الفضل العقباني عن قاضي نزلت به مسألة في عمالته وأراد أن لا يحكم فيها إلا بمحضر الفقهاء لكن أحد الخصمين لا يظن بأحد خيرا فخاف القاضي من سوء ظنه به وكلفه أن يحضر الفقهاء .([35])

عند إطلاعنا على هذه النازلة يتبين لنا وجود قضاة عدول بالدولة الزيانية يحرصون على أقامة الحدود ودليل ذلك النازلة سابقة الذكر ، غير أننا نجد فقهاء غير عدول كالنازلة التي أوردها المازوني قائلا : " إذ حكم القاضي بالشاذ فإن ذلك منه لأجل هو نفسه لرشوة يأخذها ونحو ذلك وليس هو من أهل النظر والتصويب نقض حكمه " ([36]) ، ويقول كذلك : " سئل

---

[33] - نفسه ، ج 4 ، ص 82 .

[34] - نفسه ، ص 82 .

[35] - المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 180 .

[36] - المازوني ،المصدر السابق ، ج3 ، ص 178 .

أيضا عن يتيمة خاف عليها قومها عليها من الفساد أن يهرب بها بعض المفسدين طعامها أوكرها لكونهم ببلاد السائبة وما هو يعني السايبة لضعف أحكام القضاة . " ([37]) من خلال هذه النازلة يمكن القول بأن على الرغم من وجود الفقهاء عدول ومع ذلك فقد وجد تلمسان قضاة من ضعاف النفوس يسعون لطلب المال والتكسب بأي وسيلة دون إعتبار لما تفرضه الشريعة والمبادئ الإسلامية فنجد هناك قضاة يحكمون بالشاذ مقابل المال .

كما أشرنا من قبل أن القضاة العدول كانوا يسعون للحكم بمقتضى الشرع وإن لم يكن هناك نص صريح فإن القاضي هو الذي يجتهد في تطبيق العقوبة ، حيث يقول المازوني في أحد النوازل : " فأجاب القائل المذكور يلزمه الأدب والأدب في هذا موكل إلى إجتهاد القاضي لا تحديد فيه فمن الناس من يكون أدبه السجن ، وأخر صفع الرقبة ، وأخر الضرب بالسوط، يفعل القاضي من ذلك ما يكون ردعا وزجرا لأحوال الشخص ثم يحكم بما يجده مناسب لردعه " . ([38])

ففي هذه الحالة القاضي هو الذي يستقرا أحوال الشخص ثم يحدد العقوبة المناسبة ونظرا لكثرة القضايا التي كانت ترد على القاضي ، كان لازما عليه تعيين مساعدين، يقول المازوني " سئل أيضا عن يتيم ليس له وصي ولا مقدم من قبل القاضي في كفالة إمرأة ، " ([39]) كما ذكر المازوني أنواع من القضاة كالقاضي الجماعة ويعتبر أعلى رتبة هو الذي توكل له مهمة تعيين قضاة النواحي كقاضي البادية وقاضي القرى ومن المهام الموكلة للقاضي كذلك ، يقول المازوني : " سئل شيخنا وسيدنا سيدي

[37] - نفسه ، ص 116 .
[38] - نفسه ، ج 3 ، ص 178 .
[39] - نفسه ، ج 2 ، ص 116 .

قاسم بالحبل وسجنوه في سجنهم نصف يوم دون مشورة قاضي البلد ، " ([40]) قد أقر القاضي صنيعه وهذا دليل على مكانة الفقهاء وتقديمهم في المجتمع .

كما عمد ملوك تلمسان إلى تقريب الفقهاء ومشاورتهم وإستفتائهم في أمور الدين والدنيا حتى إن الكثير من ملوك بني زيان كانوا هم أنفسهم فقهاء ، يقول المازوني "أن السلطان أبو حمو الزياني سأل من حديث حبب إلى من دنياكم ..." ([41]) وأجابة عن هذا السؤال الفقيه أبو عبد الله الشريف وهذا دليل واضح على مكانة الفقهاء في تلمسان ، وعن تقدير ملوك بني زيان للفقهاء يقول إبن مريم " ملك أبو حمو (بن) يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بني مرين ، وإستدعى الشريف من فاس فسرحه القائم بالأمر يومئذ الوزير عمر بن عبد الله ، فإنطلق إلى تلمسان وتلقاه أبو حمو براحتيه وأصهر له أبو حمو في إبنته ، فزوجها إياه وبنى له مدرسة " ، ([42])

حظي هؤلاء الفقهاء بتقدير كبير ، فإن الكثير من السلاطين كانوا هم الذين يتوجهون إليهم لطلب الدعاء .

أما الطلبة فكانوا فقراء يعيشون في المدارس ، فكانت تدفع لهم الصدقات والزكاة ([43]).

ويقول حسن الوزان "إن الطلبة أفقر الناس يعيشون عيشة بئسة في مدارسهم "([44]).

---

[40] - المازوني ، المصدر السابق ،ج 5 ، ص 29 .

[41] - نفسه ، ج 4، ص 324 .

[42] - إبن مريم ، مصدر سابق ، ص 284 .

[43] - المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 420 .

[44] - حسن الوزن ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 21 .

د ـ الشرفاء والمرابطين (المتصوفة) :

تمتعت طبقة الشرفاء بقدر كبير من الإحترام والتقدير ، وهذا النسب الشريف الذي يرجعونه إلى سلالة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما يرجع البعض نسب الدولة الزيانية إلى الشرفاء ، حيث يقول صاحب الدرر السنية إن " أصل شرفاء الزيانيين يعود ليونس لما وصل مأمنه بوصول لموضع أسلافه موضع أبيه وجده أبي زيان بن زين العابد بن مكث فيه وتزوج أربع عشرة إمرأة ولم يلد سوى من ياقوتة بنت عبد الله بن جعفر فولدت له عشرة أولاد وثلاثة بنات فبقي منهم عبد الرحمان ومات الباقون فإنتقل عبد الرحمان إلى تاقدمت ونزل عين الطوع وحصل له بها التعظيم والجاه الجسيم ما هو معروف لهم في أسلافهم السابقين فتزوج حسنة بنت عامر القريشي فولدت له عبد القوي وجعفر وأحمد ومن هؤلاء الثلاثة تفرعت فروع شرفاء بني زيان ([45]).

فبالنسبة إلى أصل بني زيان هناك إختلاف، فهناك من يقول أنهم برير من الزناتة وهناك من يرجع أصل إلى العرب والأشراف ، وذكر المازوني في أحد النوازل أن فقهاء تلمسان أفتوا بوجوب إحترام الشرفاء ([46])،كما أثبتوا الشرف من قبل الأم ، فكل من كانت أمه شريفة فهو شريف ، والملاحظ أن النسب للإشراف كان " يثبت بالسماع وشهادته به ودعاء الناس لديه ، ويتقوى كذلك بثبوته عند القضاة لا سيما مع تقادم رسوم المنسيين " ([47]).

---

[45] ـ علي السنوسي ، الدرر السنية في إخبار السلالة الإدريسية ، مطبعة الشباب مصر ، 1399 هـ ـ ص 106 .

[46] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 120 ، 121 .

[47] ـ أبو كمال مصطفى السيد ، محاضرة في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر د ت ، ص 200 .

خطيت فئة أخرى بالتقدير داخل المجتمع التلمساني تتمثل في المرابطين ، حيث يفيدنا المازوني أن السلاطين كانوا يغدقون عليهم بالعطايا والإقطاعات ([48])، ففي أحد النوازل يقول : "سئل سيدي أو الفضل العقباني عن جماعة من المرابطين أنعم عليهم السلطان بأزواج للحراثة عليها عيون ماء " ([49]) ويقول في نازلة أخرى " سئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني أن رجل غاصب إن لم توريني مطمورة فلان لأفعلن بك كذا وكذا ، فصالحه على دراهم بمحضر المرابطين ووافقوه على الصلح ".([50])يتضح من خلال النازلة أن هؤلاء المرابطين حظوا بمكانة مرموقة بين الناس.

ويقصد بهؤلاء المرابطين المتصوفة ([51]) فقد وصفهم جورج مارسيه بما نصه " منهم من كانوا متعلقين تعلقا عميقا بتعلم الدين .... ويقضي الأخرون حياتهم في المسجد ولا يؤمون أخرون بالمسجد أبدا حتى لتأدية الصلوات الشعائرية ، وينغلقون في بيوتهم حتى لا يتركوا مشهد الحياة الدنيا تلهيهم عن تأملاتهم ويحرمون أنفسهم من جميع مرافق الحياة ، مزوين في غرفة صغيرة مثل المنسك .. وكانت العلامة المميزة للصوفي فقر لباسه ، ويكتفي بإسقاط الأقوات " . ([52]) فالمتصوف يميلون إلى حياة الزهد والإنزواء عن العالم الخارجي وهذا لتجنب الشهوات .

كما أشار المازوني إلى بعض العادات التي كان يقوم بها المتصوفة كالإجتماع والرقص إذا دعت له الضرورة ، فأجاب بعض الفقهاء بما نصه

---

[48] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 55 .

[49] ـ نفسه ، ص 67 .

[50] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 265 .

[51] ـ التصوف " من العلوم الشرعية الطارئة على الدنيا ، ولقد كان عند السلف الأمة ، هواالتعبد ، والتهجد إلى الله تعالى والأعراض عن الدنيا ، ينظر إبن خلدون ، مقدمة ، ص 462 .

[52] ـ حورج مارسيه ، تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار التل ، الجزائر ، 2004 ، ص 125 .

" بما ذكرت من أحوال بعض الناس من الرقص والتصنيف على ذلك بدعة وضلال " ([53]).تفيد هذه النازلة إلى إنتشار ظاهرة الطرقية في تلمسان ، وإبتعاد بعض المتصوفة عن النهج التصوفي السني ، فهؤلاء ينعزلون في البوادي والجبال ويقيمون داخل رباطات أو زوايا ، وعن هذا النوع من التصوف يضيف قائلا ، سئل المارزي عن قوم يجتمعون بالصلاة بعد العشاء الأخيرة ومعهم قناديل فوق سور يذكرون أنهم يريدون العسكر ويقولون بإجتماع الأصوات سبحان الله العظيم بالتطريب والتحنين ، وهم على تلك الحال من الإجتماع والتطريب وقد نهو عن فعل ذلك في الطريق والمزابل ، ونهو عن التطريب والإجتماع ، وأمروا أن يكونوا على سور ويتركوا التطريب وأن سنة الحرص في الرباط التكبير والتهليل ، فهل ينهوا عن هذا وهو بدعة ولا يذكر الله إلا في المواضيع الشريفة من الإجتماع والتطريب ، وهذا منهى عنه من قبل العلماء " ([54])، وعليه فإن هؤلاء المرابطين كانوا يخرجون إلى الحصون بحثا عن العدو رغبة من حماية البلاد ولكن العلماء أنكروا عليهم التطريب والغناء .

2 ـ الطبقة العامة :

كانت الطبقة العامة تتميز بالوضوح والبساطة داخل المجتمع التلمساني ، ورغم بساطتها فهي عصب الدولة ورأس مالها ، أورد المازوني إشارات عديدة حول هذه الطبقة في كتابه فإن جل النوازل والفتاوي التي ذكرها تعبر عن مشاغل وإهتمامات هذه الطبقة ، كما تورد المصادر معلومات حول هذه الطبقة ، حيث يقول إبن خلدون " وما يزعم

[53] ـ المازوني ، المصدر السابق ،ج5 ، ص 455 .
[54] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 456 .

بعض العوام من ساكنيها أنها أزلية البناء " ([55]) يظهر أن مفهوم العامة هو عكس الطبقة الخاصة المذكورة سابقا وعليه فإن العوام من الناس هم في الغالب تجار صغار وأهل حرف وزراعة وفقراء المدن ([56]). وعلى الرغم من الضعف الذي وصف به هؤلاء إلا أنهم قاموا بدور إيجابي كغيرهم من فئات المجتمع ، كما أنها تشبعت بالقيم الإسلامية وهذا الذي دفعها إلى الإنتفاض ضد الجور والظلمة وتاريخ المغرب الأوسط حافل بهذه الإنتفاضات ، فلهم بصمة في الحياة السياسية بشكل فعال غير مسار الأحداث في كثير من المرات .

من العناصر المكونة لهذه الطبقة الأسرة التي تعد لبنة المجتمع ومحرك رئيسي لقوته، بالإضافة إلى فئات أخرى سنوردها فيما يلي :

أ ـ الأسرة :

نستخلص الحياة الأسرية داخل المجتمع التلمساني ، من خلال النوازل التي ذكرها المازوني في الدرر المكنونة .

حيث أعتبر الرحل هو المسؤول عن العائلة داخل الأسرة ، ([57]) فنجد الأب مطالب بالنفقة على أسرته ، ([58]) كما يقوم بدور الخطبة لولده ودفع عوضه المهر في العديد من الحالات ، ([59]) إلى جانب مسؤوليته في تزويج بناته وتجهيز الفتاة بما تحتاجه لذهاب إلى البيت الزوجية ، ([60])أما إذا توفي الأب أو غاب عن الأسرة وكان الأولاد صغار فإن العم يكون ولي على

[55] ـ إبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 156 .
[56] ـ عبد الكريم الشباب ، مرجع سابق،ص 15 .
[57] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 188 .
[58] ـ نفسه ، ص 188 .
[59] ـ نفسه ، ص 405 ، 404 .
[60] ـ نفسه ، ص 106 .

الأسرة ، ([61]) كما ذكر المازوني في كتابه أن الأب عندما يكون مريض مرض الموت يعين وصي على بناته لتزويجهم ، ([62]) ونظرا للأوضاع السياسية المضطربة في الدولة الزيانية ، وإنعدام الأمن وضعف الأحكام ، نجد أن أهل القرية أو العشيرة هم من يتولون موضوع تزويج اليتامى ، ومن العوائد المنتشرة في تلمسان أنهم لا يزوجون اليتيمة التي لا يخاف عليها الفساد .([63])إلا بعد بلوغها وموافقتها ([64]) كما تشير بعض النوازل إلى تعدد الزوجات وميل الزوج إلى إحداهن دون أخرى ([65]) وهذا ما كان يخلق الخلافات في البيت الزوجية ، ونستدل من بعض النوازل حرمان المرأة من الميراث في بعض المناطق ، ([66]) وهذا لخوف الأهل من خروج المال خارج الأسرة ، إلا أننا نجد من نوازل أخرى أن المرأة في مناطق أخرى من تلمسان كانت تورث منها مثل الرجل حسب ما جاءت به الشريعة الإسلامية ([67]). وما يميز المجتمع التلمساني كثرة الهبات والصدقات والوصايا داخل الأسرة ، فالكثير من النوازل والفتاوى تفيد بأن الرجال والنساء كانوا يحرصون على التصدق على أولادهم الصغار ، كما كانوا في بعض أحيان يوصون بجزء من أملاكهم لأبنائهم ، ومن النوازل التي ذكرها المازوني " رجل جعل لإبن أخيه ثلث من ماله " ([68]) وفي نازلة أخرى " يذكر أن إمرأة لها دار وثلاث بيوت وعندها ثلاث بنات وذكرين ثم أنها "

---

[61] ـ نفسه، 100 .

[62] ـ نفسه ، ص 14 – 28 – 138 .

[63] ـ نفسه ، ص 100 .

[64] ـ نفسه ، ص 116 .

[65] ـ نفسه ، ص 145 ، ينظر : أبو العباس أحمد الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس ، الرباط ، ج 3 ، ص 133 ، أبو كمال السيد ، جوانب من الحياة الإجتماعية الدينية والعلمية في المغرب الإسلامي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 1996 ، ص 173 .

[66] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ص 177 .

[67] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 3 ، 367 ص .

[68] ـ نفسه ، ص 367 ، ينظر الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 38 – 162 .

أعطت لبنت من بناتها بين ثم أعطت للثانية بيتا وأخرى كذلك ثم أعطت لأحد الولدين البيت الثالث ([69])، وفي نازلة أخرى " يذكر أن رجل تصدق على أولاده الصغار بدار وبستان " ، ([70]) يتبين من خلال هذه النوازل تلاحم الأسر الزيانية . فالأب والأم كانوا يعطون أولادهم الصدقات حتى يضمن لهم عيشة كريمة في ظل أوضاع مظطربة ، ونلاحظ أن هذه الصدقات والهبات تزيد من شدة الترابط داخل الأسرة .

من خلال تصحفنا لكتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة وجدنا العديد من المشاكل الأسرية في المجتمع التلمساني ونذكر من بينها :

ـ إساءة الزوج عشرة الزوجة وقهرها والتسلط عليها ([71])، وهذا راجع إلى عوائد المجتمع التي كانت تقدم الرجل عن المرأة ، كما يذكر في نازلة أخرى تكليف الزوجة مالا تطيق من خدمة الضيوف والبيت ([72]).

ـ كما نجد في بعض النوازل إشارة إلى إعتداء الزوج على زوجته بالضرب وعند إشتداد القهر على الزوجة ترفع أمرها إلى القاضي أو بعض العدول ، ويدل على هذا قوله " سئل رضا رجل يشارز زوجته المرة بعد المرة ويؤذيها يسئ عشرتها وتباغضه فتمشى إلى أوليائها غير دونها بعد أن ينهى عن مشاورتها ويتوب من ذلك بزعمه عن إساءتها، فإذا أقامت عنده يوما أو يومين أو ثلاث ، رجع إلى إيذايتها بالضرب وسب هكذا أبقيا إلى أن فرت منه يوما " ([73])، تبين من هذه النازلة وضعية المرأة داخل الأسرة في بعض الأسرة التلمسانية فكانت تفتقد الإحترام والتقدير وكثرة

---

[69] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 147 .

[70] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 147 .

[71] ـ المازوني ، المصدر السابق ،ج 2 ، ص 150 .

[72] ـ نفسه ، ص 153 – 162 – 166 .

[73] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 16 .

الأذية كانت تؤدي بالنساء إلى الفرار من بيوتهن وهذا ما أدى إلى إنتشار الفساد في المجتمع .

ـ الكثير من أحيان ينشب خلاف بين الزوجين بسب عدم العدل بين الزوجات ، فهناك نازلة تشير إلى أن رجل كانت له زوجتان فمال إلى أحدهما دون أخرى أدى ذلك بطلب المهملة الطلاق وهو فقير الحال ([74])،وفي بعض المرات يغيب الزوج عن أسرته لعدة أعوام ، وتنقطع أخباره فتقوم المرأة الزواج من أخر ، فيعود الزوج أول ويطالب بزوجته ([75])، فهنا تحدث مشكلة تؤدي بهم إلى الترافع لدى القاضي .

ـ ومما كان يثير غضب أزواج هو تكرار الخروج المرأة لزيارة أهلها ([76])، ويعتبر هذا سبب من أسباب حدوث مشاكل داخل الأسرة وأحيانا يؤدي بهم لفك الرابطة الزوجية .

كنتيجة للمشاكل السابقة الذكر فقد إنتشرت ظاهرة الطلاق داخل المجتمع ، ووصلت إلى حد إفتداء المرأة بالمال من أجل تطليقها ([77])،وفي بعض الحالات تتدخل الأسرة في الطلاق ، فقد أشار المازوني في إحدى النوازل أن أب أكره إبنه على الطلاق .

والملاحظ أن هناك مشاكل بين الإخوة ، فقد أخبرنا المازوني بنازلة مفادها أن أخوين يسكنان بنفس البيت فتنازعت زوجتهما ، فقالت أخرى

---

[74] ـ نفسه ، ص 179 .

[75] ـ نفسه ، ص 405 ، يقول الونشريسي أن القضاة كانوا يشددون على أن لاتتراوح المرأة في أخر إلا بعد التيقن من وفاة زوجها الأول وأن يشهد بذلك الشهود العدول ، أو يحدد القاضي لها أجلا فإن لم يعد زوجها كل تلك المدة يعطي لها الحق في أن تتزوج بعد إنقضاء الأجل المحددة ، ينظر أبو كامل السيد ، جوانب من الحياة ، ص 22 .

[76] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 37 .

[77] ـ نفسه ، ص 254 .

أخرجوا من داري فغضب الرجل وأشار إليها بمقص كان بيده فارتقى من يده وأصابها في خدها فماتت " ([78]).

ب ـ القابلات :

تمتعت القابلة بالإحترام والتبجيل في الوسط النسوي ، فلم تكن هناك قرية أو مدينة تخلو من قابلة ، وكان القاضي يلجأ إليهن لمعرفة حمل المرأة ، حيث يقول المازوني" فأمر القاضي فجسسن بطنها " ([79]).

كما أن القابلة كانت تعتبر عون من أعوان القاضي داخل العنصر النسوي ، وكان يلجأ إليهن الأزواج عند حدوث المشاكل الأسرية ، فكن يؤدين عملهن لقاء أجر ، فقد ذكر المازوني ذلك في أحد النوازل بما نصه " أن حامل تقول رقد جنيني فيكون الولد وضعه كان لمثل ما تضع النساء من حين عقد الثاني إلى وضعها فإدعى أن الحمل لأخيه مستشهدا بقول بعض النساء أنهن قلبنها في الستين التي تربصت بها بعد وفاة زوجها " ([80]).

ج ـ العبيد :

حظي الرقيق بمكانة داخل المجتمع الإسلامي ، فالإسلام حدد وضعية هذه الفئة في المجتمع ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : قال الرسول صلى الله عليه وسلم " ليقولن أحدكم عبدي وأمتي ، كلكم عبيد ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي " . ([81])

---

[78] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301

[79] ـ نفسه ، ص 397 .

[80] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 438 .

[81] ـ الإبشيهي ، المستطرف ، نقلا عن ، عبد الكريم شباب ، مرجع سابق ، ص 17 .

توقف المازوني عند هذه الفئة في العديد من المحطات في كتابه ، حيث ذكر " أن أمة بين رجل وأخيه في كفالته ومن جملة عياله وظهر من الأمة فساد فباعها " ([82]).

هذه النازلة تشير إلى وجود سوق النخاسة في تلمسان الذي يباع فيه العبيد والإماء رغم أن هذه الفئة كانت في أخر هرم المجتمع إلا أنها تأصلت داخله وكان لها صدى كبير ، يقول إبن خلدون عند حديثه عن رسل السلطان المريني أبو الحسن " ولج وأغلظ للرسل القول وأفحشوا بمحله بعض السفهاء من العبيد " ([83]).

أما عن جذور هذه الفئة في تلمسان خاصة ، والمغرب عامة يقول إبن سعيد المغربي عن بلاد السودان " مدينة لامي تحت طاعة كفار اللملم .... يعرف جنسهم بالرقيق في بلاد المغرب الإسلامي " ([84])كما يشير إلى طرق أخرى يجلب منها الرقيق عند

حديثه عن ورقلة " وإركلان .... بلاد نخل وعبيد " ومنها تأخذ العبيد إلى تلمسان وإفريقيا([85]) ، كما جلب العبيد إلى تلمسان من البلاد الأوربية فقد شهد العصر الأول من الدولة عدد كبير منهم ، وإستعمل أكثرهم من الصناعة كما حدث في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني ([86])،ونتيجة لإنتشار هذه الفئة بدرجة كبيرة داخل المجتمع ذكر إبن حوقل أنهم كانوا يسوقون إلى المشرق منها " الخدم المجلوبين من بلاد السودان

---

[82] ـ الإبشيهي ، المستطرف ، نقلا عن ، عبد الكريم شباب ، مرجع سابق ، ص 397 .

[83] ـ إبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 199 .

[84] ـ أبو الحسن علي بن موسى إبن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط2 ، ص 92 .

[85] ـ إبن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص 126 .

[86] ـ مختار حساني ، الأحوال الإجتماعية ، دار الحضارة ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص 83 .

والخدم الجلوبين من أرض الصقالبة ([87]) على الأندلس " ([88])،وقد أمدنا المازوني بإشارات على وجود الصقالبة على أرض تلمسان بقوله : " من إستحقت من يده مملوكة بحرية بعد أن قبض من بائعة ضمانها ومات . ([89]) أما الصنف الأخر من العبيد فهم الأسرى الذي زاد عددهم بعد شروط الأندلس ، وهذا كنتيجة لحركة الجهاد التي قام بها سكان المدن الساحلية كوهران والمرسى الكبير وتلمسان ، حيث نصت المعاهدات التي أبرمت بين الدولة الزيانية والإسبان على إطلاق سراح هؤلاء . ([90])

تواجد الرقيق البيض بشكل لافت في المغرب الإسلامي ، وقد خدموا كعبيد في قصور السلاطين ، كما كانت الجواري منهم تستغل للمتعة والموهوبة منهن في الرقص والغناء ([91])، ويمدنا الونشريسي أن إحدى الجواري كانت تتمتع بموهبة الغناء كان سيدها يستغلها من خلال غنائها في الأعراس والمناسبات السعيدة مقابل أجر معين ([92])، ويذكر أن من عادة النخاسين إعداد الرقيق وتهيئتهم لإزالة روائح الأنف بالدهن وغيره والسحيق الصيني أو الفحم أو الملح المدقوق غيره وكانوا يزيلون الشعف في أصول الأظافر بغسلها بالعسل والخل أو دهن الورد أو اللوز المر، ومن وصايا النخاسين للجوازي أن يتبرجن للمشتري تارة ويختفين منه تارة

87 ـ الصقالبة ، جيل أحمر اللون ، صهب الشعر يتواجدون ببلاد الخزر في أعالي جبال الروم ، ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1995 ، ص 416 .

88 ـ أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، د . ت ، ص 95 .

89 ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ـ 5 ، ص 84 .

90 ـ مختار حساني ، المرجع السابق ، ص 83 .

91 ـ عبد الكريم الشباب ، المرجع السابق ، ص 18 .

92 ـ الونشريسي ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 188 .

أخرى فإن هذا مالك للقلوب ، وأن يدارين المشايخ ونافري الطباع ويستملحهن ويتجبن الشباب ويتمنعن عليهن ليمتلكن من قلوبهم ([93]).

أما عن معاملة هؤلاء الرقيق فيقول المازوني في أخذ النوازل أن " رجل له زوجة وخادم لا قبول لهما على تعلم الدين وعن الطهارة والصلاة ما يتعلق بذلك إلا بمشقة وتعنف وربنا تعذر ذلك لأنها أعجمية " ([94]) ، فهذه النازلة تشير إلى المعاملة الحسنة التي يلقونها هؤلاء من بعض الملاك بما شرعه الله عز وجل ، والنازلة تشير إلى إنتشار الجهل والأمية في أوساط هذه الفئة ، أما في نازلة أخرى فيذكر تأديب الخدم بقوله " ومن ضرب أمة فكسر سنها " ([95]) هذا ما أدى إلى فرار بعض العبيد من أسيادهن نتيجة إشتداد الضغط عليهن أو طلبنا للعتق فقد كان الأسياد يحتاطون من ذلك بوضع خلخال من حديد في قدم المملوك يعرف إن رآه ([96]).

أقدمت الدولة الزيانية على دمج العبيد في سلك الجيش النظامي خصوصا البيض منهم لذا كان الكثير يفضل الإنتساب إلى سلك الخدمة العسكرية ، حيث يقول إبن خلدون أن هؤلاء " لا يأنفون من الرق مما يأملونه من الجاه والرتبة بأصطفاء الدولة"([97]).

د ـ أهل الذمة :

عاش إلى جانب المسلمين في تلمسان جاليات أخرى غير مسلمة ، ويعود تواجد هؤلاء إلى العصور القديمة ، كما توافدت أعداد كبيرة إليها

---

[93] ـ عبد الكريم شباب ، المرجع السابق ، ص 19 .
[94] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 84 .
[95] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 71 .
[96] ـ الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 146 ، 147 .
[97] ـ إبن خلدون ، مقدمة ، ص 148 .

وهذا لوجودها على شريط ساحلي طويل سمح بدخولهم إلى تلمسان ، فوجود هؤلاء داخل المجتمع المسلم كانت تتحكم فيه قواعد الشريعة الإسلامية كما جاء في النص التالي : " يلزمهم أن يتميزوا في اللباس عن المسلمين .... ولا يركبون الخيل والبغال ولا الحمير بالأكف"([98])عرضا ولا يركبون في السروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدأون بالسلام .... ويمنعون من إظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والإنجيل ... وفي تقدير الجزية إختلاف بين العلماء ، فمنهم من قال أنها مقدرة أقل أو أكثر على ما كتب عمر رضي الله عنه إلى عثمان بن حنيف بالكوفة ... وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد إبن حنبل وأحد قولي الشافعي ، ويجوز للإمام أن يزيد على مقداره ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين "([99]).

إن الحدود التي وضعتها الشريفة من حقوق وواجبات إتجاه أهل الذمة واضحا ولكن تطبيقها كان يتوقف على طبيعة السلطة السياسية والظروف الإجتماعية والإقتصادية للمجتمع الإسلامي بصفة كبيرة .

إن إستيطان " اليهود ([100]) والنصارى ([101]) في المغرب الإسلامي كان قبل مجئ المسلمين ، حيث تمركزوا في السواحل وما إن فتح المسلمين بلاد المغرب فقد إنقلبت الكفة حيث إستمر وجودهم لكن بشكل قليل ، فحسب

---

[98] ـ أكف ، الإكاف ، واكف الدابة وضع عليها الإكاف ، ينظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور أفريقي ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 .

[99] ـ مصطفى علوي ، صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة الجغرافيين المغاربة ما بين القرنين 07 ز 09 الهجريين 13 و 15، مذكرة ماجيستر غير منشورة ، تخصص تاريخ وسيط ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، ص88 .

[100] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 176 .

[101] ـ حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 20 .

البكري فإن النصارى كانوا متواجدين في تلمسان في القرن الخامس الهجري وذكر أن لهم بها كنيسة معمورة ([102]).

فوجودهم في المنطقة يعود إلى العهود القديمة حيث إستقروا في المنطقة منذ فجر التاريخ فجاؤوا مع الفينيقيين إليها ، وبعد مجئ المسلمين تقلص عددهم ، ولكن الإضطرابات التي حدثت في الأندلس جعلتهم يلجأون إلى المغرب الإسلامي فكانوا يرافقون القوافل التجارية ، ([103])أشار المازوني إلى طائفة اليهود بتلمسان بقوله " سألت الشيخ سيدي أبو الفضل العقباني عن يهود بنو دار بإزاء مدرسة " ([104]). يتبين من خلال النازلة أن المسلمين واليهود كانوا يقيمون في أحياء مشتركة وقد أخبر حسن الوزان على وجود تجمعات خاصة بهم قوله " حارة تضم خمسمائة دار لليهود"([105]).

تعددت نشاطات هؤلاء داخل المجتمع فقد ذكر إبن مرزوق أنهم كانوا موكلين بمراقبة السلع بقوله " يتولى المسلم النصراني واليهودي ويحيطون به فيفتشونه من رأسه إلى قدمه ، ظاهرا وباطنا لما عسى أن يدخل به من سلع التي يوظف عليها مغرم من المغارم ، وحتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشن ويدخلن يدهن إلى لحومهن" . ([106])قد أحترف هؤلاء التجارة حيث ذكر المازوني في أحد النوازل في تعاملاتهم بقوله " الحمد لله حضر شهود موطنا تحاسب فيه مردخان اليهودي مع سلول اليهودي على

---

[102] ـ محمد إبن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا منشورات المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1981 ، ص 285 .

[103] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 338 .

[104] ـ نفسه ، ص 338.

[105] ـ حسن الوزن ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 20 .

[106] ـ المازوني المصدر السابق ، ج 4 ، ص 338 .

ما كان بينهما من معاملات ومداينة " ([107])،كما ذكر في النازلة نوع السلعة التي تعامل بها وهي الشمع المسبوك ، ([108])عند إستقرائنا للنازلة يتضح لنا أن هؤلاء اليهود كانوا على درجة كبيرة من الغنى وهذا لممارستهم التجارة ويؤكد حسن الوزان هذا القول بقوله " كلهم تقريبا أغنياء ، يضعون على رؤوسهم عمامات صفراء لكنهم لم يبقوا أغنياء إلا فترة من الزمان ، إذ نهبت أموالهم بعد الملك أبي عبد الله عام 93 هـ فأصبحوا اليوم يكادون يستكففون الناس ([109]).

يشير المازوني في نازلة أخرى تعامل هؤلاء اليهود بعقود المسلمين في الكثير من معاملاتهم غير أن العلماء نهوهم عن ذلك([110]) .

كما إشتهر هؤلاء اليهود بممارسة الطب ، فبعد إستيلاء أبو الحسن الريني على تلمسان جرى ذكر طبيب يهودي كان مشتهرا بالطب ([111])،ونشط هؤلاء أيضا في مجال الصيرفة ، خاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط كتلمسان ، بجاية ، ففي هذه الأخيرة أقاموا حوانيت خاصة بتبديل العمل ، والعمل بهذا الفرع التجاري المالي الخطير في حياة المجتمعات من صعوبة الإشتعال فيه نظرا للشروط التي يجب أن تتوفر في الصيرفة خاصة في المجتمعات الإسلامية ، إذا من الشروط اللازمة والضرورية معرفة الشرع الإسلامي ([112]).

---

[107] ـ إبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 381 .

[108] ـ مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الإسلامي في الفتح إلى سقوط الدولة الموحدية، دار الهومة الجزائر د . ت ، ص151،150 .

[109] ـ مسعود كواتي ، المرجع السابق ، ص 408 .

[110] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 388 .

[111] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 408 .

[112] ـ إبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 381 .

أعطى صاحب الدرر المكنونة إشارات حول النصارى بقوله : " هل يجوز بيع هذا الطعام للنصراني ، " ([113])من خلال ما ورد في الكتاب فقد أباح الفقهاء التعامل مع النصارى في المال والطعام وما نحو خلاف الخيل وما فيه مضرة للمسلمين كما حرموا التعامل معهم في أموال المسلمين لوجود أسماء الله عليها ([114]). وقد إمتهن هؤلاء التجارة وعاشوا داخل الموانئ مجتمعين تحت إشراف قنصل معتمد لدى العامل الزياني ، كما إستعان بنو زيان بحراس من النصارى ([115]).

بالرغم من تسامح المسلمين مع الجاليات الأخرى إلا أنهم كانوا مجبرين على دفع الجزية كما حددها الشرع ، في هذا الصدد يقول المازوني : " سئل أبو الفضل العقباني عن يهود سكن البادية ويتاجرون في أنواع المتاجر وبعضهم سكن الحاضرة تكون إقامتهم في البادية هل تأخذ الجزية من جميعهم أو تأخذ من المساكين خاصة؟ وما مقدار ما يأخذ منهم " ([116]). فأجاب " منهم من هو يهودي ذكر حر مكلف مخالط لهم وهو تحت حكم الإسلام وصونه وضربت عليه الجزية أكان بالحاضرة أو بالبادية وقدرها أربعة دنانير وأربعون درهما بالوزن الشرعي على كل شخص في كل عام والله الموفق بفضله " ([117]).

فالجزية كانت مفروضة على كل بالغ ذمي له القدرة المالية وأسقطها الشرع على الصبي ، المرأة ، رجال الدين وضعفاء الحال .

ثانيا : المجتمع البدوي :

---

[113] ـ مسعود كواتي ، المرجع السابق ، ص 150 - 151 .
[114] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 65 .
[115] ـ نفسه ، ج 1 ، ص 408 .
[116] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 408 .
[117] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 409 .

لم تقتصر التشكيلة السكانية في تلمسان ، على سكان الحواضر ، بل شكلت البداوي مركز ثقل هام ، ويصف إبن خلدون سكان البداوي بقوله : المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام ، وإنهم مقتصرون على الضروري الأقوات والملابس والمساكن ، وسائر الأحوال والعوائد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير المنجدة ([118]). ويشير صاحب العبر بأن أهل البداية أكثرهم ، يعيشون حيات الترحال، حيث يقول لم يفارق فيه سكن الخيام وأبعاد النجعة وإيلاف الرحلتين ([119])،فمن خلال ما ذكره إبن خلدون ، فمعظم سكان الأرياف يعيشون حياة غير مستقرة ، غير أنه في نص أخر يوضع لنا أصناف حياة الترحال بقوله : فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال ، وهم عامة البربر والأعجام ، ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم الظعن في الأغلب لإرتياد المسارح لحيوانتهم فالتقلب في الأرض أصلح بهم ويسمون الشاوية ومعناه القائمون على الشاه والبقر ولا يبعدون في الفقر لفقدان المسارح الطبية وهؤلاء مثل البربر وإخوانهم التركمان والصقالبة ، وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا ، وأبعد في القفر مجالا لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها ، الإبل في قوام حياتها من مراعي الشجر بالقفر ([120]). فقد ميز لنا إبن خلدون ثلاث مجموعات سكانية بدوية من حيث نمط المعيشة :

[118] ـ إبن خلدون ، مقدمة ، ص 121 .
[119] ـ العبر ، الجزء 7، ص 321 .
[120] ـ إبن خلدون ، المقدمة ، ص121 .

ـ البدو المستقرون الذين يتمركزون في السهول والتلال والهضاب ، ويسكنون القرى ويعيشون من نتاج الأرض كالحبوب والفواكه .... فيدعوهم ذلك غلى الإستقرار وهم بقربهم من المدن والأمصار يتقون دوما إلى السكن فيه والإستفادة من رغد العيش المتوفر بها ، ([121]) فهؤلاء البدو أقرب لأهل الحواضر ، ولهم القابلية للتمدن .

ـ البدو أصناف الرحل الذين يعيشون من تربية المواشي خاصة الأغنام والأبقار ، وقد يضيفون لها ممارسة الزراعة كنشاط مكمل لحرفة الرعي وكان البحث عن مواطن الكلأ الماشية هو سبب ترحال هذه القبائل عن أوطانها في فصل الشتاء ([122]) .وعليه فهؤلاء كانوا يعتمدون على الماشية في عيشهم أما ترحلهم حسب إبن خلدون فهو محصور ومنظم حسب الفصول .

ـ هؤلاء البدو متبحرون في الترحال ويسكنون الصحارى والقفار ([123])،فمصدر رزقهم الوحيد هو تربية الحيوانات ، ولا يشتركون مع أية جماعة أخرى في الأرض أو المرعى والرابطة الوحيدة التي تشد أفراد منهم بالأخرين وتميز جماعات منهم عن الأخرى ، هي رابطة الطبيعية رابطة الدم التي تبقيت لديهم واضحة الصفاء والنقاوة أنسابهم نتيجة تفردهم في القفر وعدم الإختلاط مع غيرهم .([124])

تنظيم المجتمع البدوي

[121] ـ عبد الكريم شباب ، المرجع السابق ، ص 25 .

[122] ـ محمد عابد الجابري ، فكر إبن خلدون العصبية والدولة ، معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الإسلامي مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ط 6 ، 1994 ، ص 147 .

[123] ـ عبد الكريم الشباب ، المرجع السابق ، ص 26 .

[124] ـ محمد عابد الجابري ، المرجع السابق ، ص 147 ، 148 .

تعد القبيلة محور للتنظيم الإجتماعي والإقتصادي في البادية سواء كانت هذه القبلية عربية أم بربرية في غالب الأحيان تتألف من عدة بطون . ([125])

وقد إحتلت فئة المشايخ قمة البناء الإجتماعي في البادية ، وقد أشار المازوني في أكثر من موقع إلى هذه الفئة التي كانت في الغالب المرجع الأول في تصريف أمور الجماعة في الريف حيث يقول : " عمد أحدهم إلى تزويج إبنته البكر التي في ولايته من شيخ بني تغرين وحال بني تغرين لا تخفى سيدي علمهم بقرب حالهم في وطنهم من حال الملوك لهم سلطان وإستطالة وإقتدار وإحتكار في الرعية " . ([126])فقد إكتسب هؤلاء المشايخ مكانة سامية بين قومهم وعن مكانتهم يقول إبن حوقل " وفيهم ملوك ورؤساء مقدمون من القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم "([127]) من خلال ما تم ذكره .

نستنتج بأن هؤلاء المشايخ كانت بيدهم السلطة القبلية ، فهم من يضعون القوانين ويفضون النزاعات ، وكل ملزم بإحترام قراراتهم ، حيث يقول جودت عبد الكريم :" ومرد إلتزام الفرد بالحكم الصادر عن مجلس القبيلة راجع لإقتناعه بعدله وإلا لكان بإمكانه وبكل سهولة أن يعتزل مجتمع قبيلته دون أن ينال أدنى عقاب بدني ويرجع هذا إلى الصفات البدوي نفسه الممثلة في حبه لحريته وفي بساطته وصراحته ، وصدقه ، وعدم إنصياعه للإهانة والمذلة ([128])"، وبهذا فإن النظام القبلي يشكل وحدة إجتماعية

[125] ـ عبد الكريم شباب ، المرجع السابق ، ص 28 .
[126] ـ المازني ، المصدر السابق ، ج2، ص 160 .
[127] ـ إبن حوقل مصدر سابق ، ص 97 .
[128] ـ جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين (10/09م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت ، ص 252 .

متماسكة تضبط العلاقات بين الأفراد ، وتنظم الشؤون العامة للجماعة المحلية في البادية ، لكن يجب أن نشير أن رابطة الدم لم تكن وحدها دائما المؤدية إلى نشأة وتوسع القبلة لكنا تنشأ أيضا بحكم تعايش وحدة المصالح الإقتصادية والتكتلات السياسية ([129]).

والملاحظ في البادية أنه لا يظهر التفاوت الطبيق مقارنة بالمجتمع الحضري ففي البادية دائما يكون " البدوي الحامي للقرى والزناتي المالك المتحالف معه يكونان طبقة نبيلة " ([130])،ونجد في أخر الهرم السكاني في البادية الحارثون وهم طبقة إجتماعية وعرقية في نظر البدوي غالبين يتكونون من مزيج من سكان أصلين والعبيد والقدماء ([131]).

وبعدما أعطينا لمحة عن حياة المجتمع البدوي ، يجب أن نتطرق إلى العناصر التي سكنت البادية ، فمن خلال دراستنا لكتاب الدرر المكنونة وبعض المصادر يتبين لنا أن أغلب سكان القرى والمداشر هم العرب والبربر .

1 ـ البربر :

يفيدنا المازوني من خلال إحدى النوازل بتواجد القبائل البربرية في تلمسان ([132])

وقد أشار الإدريسي إلى ذلك عند حديثه عن تلمسان ، قائلا : " وهي أرض قوم من البربر " ([133])، ومن خلال كتابه وما ذكرته المصادر ، فإن

---

[129] ـ عبد الكريم شباب ، المرجع السابق ، ص 29 .

[130] ـ عبد المجيد مزيان ، المرجع السابق ، ص 177 .

[131] ـ نفسه ، ص 188 .

[132] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 27 .

[133] ـ الإدريسي ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق (القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي) ، تحقيق محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص 21 .

السكان الأصليين لتلمسان هم بربر ، وهذا ما أكده مارمول كربخال بقوله : " أن تلمسان إحدى ممالك البربر " . ([134])

وعن أصلهم يقول صاحب فتوح البلدان : " وحدثني بكر بن الهيثم قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر ، فقال : هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس ، وما جعل لقيس ولد يقال له بر ، وإنما هم الجبارين الذين قاتلهم دواد عليه السلام ، وكانت منازلهم بفلسطين ، فأتوا المغرب فتناسلوا " ([135]).

ويقول صاحب مفاخر البربر بأنهم من أولاد قيس ، سمي أحد أولاده بر ، فقصد بر المغرب وإستوطن بها . ([136])

أما إبن خلدون فيرجع أصل البربر إلى الكنعانيين ، حيث يقول ما نصه " الحق الذي له ينبغي التعويل على غيره في شأنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح ، كما تقدم في أنساب الخلقية وإن أسم أبيهم مازيع " ([137]).

قد تضاربت الروايات حول أصل البربر ، فمنهم بنسبهم إلى أبناء يقشان إبن إبراهيم الخليل ، وأخر يرجع أصلهم إلى العماليق والكنعانيين ، وثمن من ينسبهم إلى نوح عليه السلام .

ومن خلال إحدى نوازل ، يشير المازوني إلى أهم قبيلة إستوطنت تلمسان ، وهي زنانة([138]) .

---

[134] ـ مرمول كربخال ، مصدر سابق ، ص 290 .

[135] ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 265 .

[136] ـ مجهول ، مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي راقراق ، الرباط ، ط 1 ، 2005 ، ص 180 .

[137] ـ إبن خلدون ، العبر ، 191 .

[138] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 317 .

وتتفق المصادر عن إستيطان قبيلة الزناتة في تلمسان ([139])، كما ينسبون قبيلة بني عبد الواد إلى هذه القبيلة ، حيث يقول يحي إبن خلدون : " ولما كان إنتهاء بني عبد الواد أعزهم الله إلى زناتة البربر " . ([140])

وتعد هذه القبيلة من قبائل البتر ، وهم أبناء مازيغ الأبتر ، وعن أصلهم يقول إبن حزم: " أن زناتة هو شان إبن يحي بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جنذوا بن يملا بن مادغس بن هرك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هراك بن هريكي بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي صلى " ([141]).فهذه القبائل الزناتية التي عاشت في ظل الدولة الزيانية ، تعد من الطبقة الثانية من زناتة ، وهذا لتأثرهم بالعرب ، نتيجة هجرات الهلاليين .

إن زناتة الأولى لم تختلط بالعناصر الأخرى ، فحافظت على هويتها البربرية بالإضافة إلى قوتها التي جعلتها تسيطر على المغرب الأوسط في العديد من المرات عكس زناتة من الطبقة الثانية ، التي رضيت بالإختلاط ، وعرفت الضعف والهوان نتيجة الحروب المتكررة ، ففتحت الباب أمام العرب ومن بين المصادر التي تحدثت عن الطبقة الثانية من زناتة إبن الأحمر ، حيث يقول : " ومن بينهم بنو عبد الواد الذين يعتبرون من الزناتة الجدد ، المتأثرين بالهلالية ، فإستقروا بهذه الناحية وإختلطوا مع بني يفرن ، وأصبحت لهم السيادة عليهم " ([142]).

---

[139] ـ أبو عبيد بن عبد العزيز بن محمد البكري ، المسالك والممالك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 2003 ص 259 ، ينظر الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 111 .

[140] ـ يحي إبن خلدون ، المصدر السابق ، ص 88 .

[141] ـ إبن حزم ، مصدر سابق ، ص 461 .

[142] ـ إبن الأحمر ، مصدر سابق ، ص 110 .

يصلح أن نطلق على هذه الطبقة من الزناتة التي إحتكت بالعرب وتعايشت معهم إسم "زناتة المستعربة " .

تحدد مضارب قبائل الزناتة من تلمسان غربا إلى نهر الشلف شرقا ، ومن ساحل شرشال شمالا إلى تيهرت جنوب، وقد كانوا يقومون بالرحلة من التل والسهول والواحات الصحراوية . ([143])

2 ـ العرب :

يعود تواجد العرب بالمغرب الأوسط إلى الفتح الإسلامي في نهاية القرن الأول للهجرة السابع الميلادي ، كالعرب اليمنيين والمضربين والشاميين والعراقيين وإستمر العرب في التدفق على المغرب الأوسط فمعظم القبائل التي قدمت المغرب كانت من العرب اليمنية والمضربية ، لهدف نشر الإسلام وتعاليمه بالمنطقة .

لتليها فيما بعد الهجرات الهلالية الموجهة من طرف العبيدين لضرب المعز بن باديس.([144])

وكان هؤلاء العرب الفضل في نشر اللغة العربية ، فقد إستقر بتلمسان عدد كبير من العرب خلال العهد الزياني ، حيث أشار صاحب الدرر المكنونة إلى القبائل العربية المتواجدة في المنطقة قائلا : " الديلم ، وسعيد ، ورياح ، وسويد وبني عامر أمراء المغرب الأوسط " ([145]) وكل هذه القبائل تعد من القبائل العربية التي دخلت المغرب في ظل الهجرات الهلالية ، وكان لهم حظوة لدى أمراء بني زيان ، فقد قربوهم منهم وجعلوهم مقدمين على البربر .

---

[143] ـ مختار حساني ، مرجع سابق ، ص 28 .

[144] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 47 .

[145] ـ نفسه ، ج 2 ص 164 .

وكانت لهم صلات مع القبائل العربية ، وهذا ما يؤكده صاحب النوازل في أحد نوازله قائلا : " عن رجل كان رسولا بين بعض أشياخ العرب وبين السلطان ما أعطاه إلى من أجل ذلك " ([146]).

كما أقطع سلاطين بني زيان لهؤلاء العرب الإقطاعات وجعلوا لهم أجورا ، يقول أبو زكريا يحي المازوني : " ثم إن السلطان أنعم هذه الأرض على بعض أمراء العرب " ([147])، ويقول كذلك : " وهذه الأرض المنعم بها على العربان "([148]) .

ويرجع سبب هذا التقريب والإغداق إلى خدمات العرب المقدمة لهؤلاء السلاطين، فكانوا يدافعون على البلاد مقابل إقطاع الأراضي أو أجر ، ويرجع تعويل السلاطين عليهم إلى قوتهم وسيطرتهم على المنطقة ، في الوقت الذي كانت تعاني الدولة من الضعف ، وعدم الإستقرار بسبب قوة جيرانها وطمعهم في المنطقة يؤكد المازوني هذا الكلام في أحد نوازله بما نصه : " هؤلاء الأعراب المتغلبين على البلاد لضعف السلطنة أحيانا يكونون خدما للسلطان ، وتارة يكونون مخالفين على السلطان ، كما يفعل عرب بلادنا مثل بني عامر وبني سعيد ، يعمد أحدهم إلى توليه قاضي بأمر الإمام " ([149]).

ويقول مارمول كربخال في هذا الصدد : " يتقاضون من الملوك رواتب ليحافظوا على أمن البلاد ، وإذا شاءوا ثاروا وأنضموا إلى من يؤدي إليهم أحسن ثمن " ([150]).

---

[146] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 16 .
[147] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 16 .
[148] ـ نفسه ، ص 25 - 48 .
[149] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 183 .
[150] ـ مرمول كربخال ، سابق ، ص 291 .

يقول إبن الأحمر كذلك : " جلبت الدولة الزيانية العرب بني هلال إليها من بني صعصعة وبني سليم بن منصورة خاصة إستوطنوا تلمسان ، وبرغم أنهم كانوا مصدر قلق وخطر على سلامة الإمارة وعاصمتها ، فإنهم في الوقت نفسه كانوا مصدر قوة " ([151]).

إن سلاطين الدولة الزياينة كانوا يعانون من الضعف وغير قادرين على التحكم في شؤون الدولة الداخلية ، وهذا راجع إلى الإضطرابات الخارجية ، فكانوا مهددين من جميع الجهات ، وفي هذا الوقت أقل نجم القبيلة التي إعتمدوا عليها في بناء الدولة، لذا قربوا منهم العرب من أجل مساندتهم ، غير أن هؤلاء العرب لم يهتموا بشؤون الدولة وإنما إهتموا بمصالحهم الخاصة فكانوا دوما في صف من يدفع أكثر .

ونظرا لأوضاع الدولة فقد أخذ لهؤلاء العرب مكانة الزناتة ، أصبحوا جبارين في البلاد يهددون القبائل والقرى ، فكانوات مصدر قلق لسكان ([152]).

كما أنهم كانوا يكثرون من الإغارة على القرى من أجل السلب والنهب ، يشير المازوني إلى ذلك في أحد نوازله قائلا " سئل شيخنا عن أهل قرية جاءها الأعراب خيلا ورجالا " ([153]).

ويقول كذلك : " سئل عن قوم يسكنون وطنهم وهم في هذا الوقت يخافون من العرب" يتبين من خلال هذه النازلة عدم وجود سلطة قوية تدافع عن هؤلاء سكان المتواجدين في القرى .

---

[151] إبن الأحمر ، مصدر سابق ، ص 46 .

[152] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 103 .

[153] ـ نفسه ، ج 1 ، ص 38 .

وقد أورد في نازلة أخرى : " إن قريتنا كما تعلم هي مملوكة ، أو شبه مملوكة لأمراء العرب ، يأتي الأمير لدار الحضري ويدخل داره ، كأنه داخل ملكه هو أولاده وأتباعه أو أحد من الورثة أو أحد خدمها " ([154]).

ومن خلال هذه النازلة يتبين بأن ليست القرى وحدها كانت مهددة من قبل العرب ، فحتى المدن لم تسلم من هذا الإعتداء ، فقد كان هناك صراع بين هؤلاء والأعراب من بني هلال ، الذين تقدموا إلى النواحي الساحلية ، كما حظي شيوخ القبائل بمناصب في الدولة الزيانية، وفي هذا الصدد يقول المازني :" أما توليه الخطط الفرعية نظر الإمام فيها باق ، ولم يجعلها لهؤلاء الأعراب فلا يصح توليهم " ([155]).

فقد إستغل هؤلاء العرب مراكزهم فأصبحوا يتدخلون في شؤون الحكم ، فكانوا يعينون أشخاص لا تتوفر فيهم شروط القضاء ، لأنهم لا يزالون طلابا وبذلك يشوشون على قضاة الدولة الزيانية ، وهذا دليل واضح على تسلط العرب وضعف الدولة .

وإلى جانب تسلط العرب على الدولة وحكامها ، فالكثير منهم كانوا قطاع طرق يمارسون اللصوصية ، يذكر هذا المازوني في أحد نوازله ، قائلا : " سئل شيخا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن رجل لقيه عربي بطريق فأخذ عدة ذهب منه ، ثم أنه رد له بعضها وبقي بعضها في ذمته " ([156]).

فإن المسافرين لم يكونوا بأمان في الطريق ، فكل الطرق كانت في أيدي الأعراب ، ويوكد حسن الوزان هذا بما نصه : " وهي مساوئ

---

[154] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 39 .
[155] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 111 .
[156] ـ المازوني ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 111 .

لعصابة لصوص من الأعراب على إستعداد دائم للفتك بالمارين من هناك ، حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان ، فلم ينجو هؤلاء التجار من شرهم ، لا سيما في فصل الشتاء ، لأن الأعرب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها أنذاك إلى نوميديا ، ويبقى منهم الغير مستأجرين وحدهم ليعتاشوا من اللصوصية " ([157]).

فالعرب كانوا منقسمين إلى فئتين فئة مستأجرة من قبل السلطان تعمل من أجل الحفاظ على الأمن ، وفئة أخرى غير مستأجرة تعمد لقطع الطريق واللصوصية لكي تعيش.

من خلال ما ورد من معطيات في الفصل ، يمكننا أن نقف أمام إستنتاجات هامة أبرزها أنه على الرغم من الإختلاف العرقي لسكان تلمسان وإختلاف في نمط العيش بين سكان الحواضر والبداوي ، إلا أن المجتمع التلمساني ظهر كنسج بشري منسجم ومتماسك ، لعبت الثقافة العربية دورا كبيرا في جمع شمله وتوحيده ، فأصبحت هي اللغة الرسمية للدولة كما كان للجاليات الأندلسية دورا في إرساء قواعد الحضارة في المغرب ككل بحكم أنها قادمة من بيئة جغرافية متحضرة ، والشئ البارز هو أن التفاوت الطبقي كان راسخ أكثر في المجتمع الحضري مقارنة بالبدو والأرياف .

وبالرغم من فئة العبيد كانت أسفل الهرم إلى أنا لعبت دورا هاما داخل المجتمع كما نلاحظ أن الطبقات العامة كانت بعيدة عن الحكم والسلطان ورغم ذلك كان لها دورا في الأحداث السياسية الكبرى ، على الرغم من

[157] - حسن الوزن ، سابق ، ص 19 .

هشاشتها فإن الدولة في أوقات الفتن والكوارث تستعين بها لأنها تمثل الغالبية الساحقة للمجتمع .

أعطى المازوني الكثير من الإشارات حول العلماء ، الفقهاء ، الأشراف والمتصوفة فقد حسب هؤلاء على الطبقة الخاصة ، وهذا لمكانتهم داخل المجتمع ، ويمكن أن نطلق على هذه الطبقة إسم الطبقة المخضرمة وهذا لإحتكاكها مع كل الطبقات والأوساط الإجتماعية ، والذي نلحظه كذلك هو أن الحياة داخل المجتمع الحضري طبعت بالحيوية وكثرت الحركة ، عكس المجتمع البدوي الذي إتسم بالهدوء والبساطة في العيش ورغم الإختلاف في نمط العيش بين سكان الحواضر والبوادي، إلا أن التكافل الإجتماعي كان واضحا بين الجماعات السكانية ، ومن مظاهر ذلك هو التكامل الإقتصادي بين مجتمع البادية والمجتمع الحضري .

الفصل الثاني

أورد إبن خلدون في مقدمته وصفا لأوضاع الدولة في كل طور من حياتها قائلا : " أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون في الطور الأخر ، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه " . ([158])

[158] - إبن خلدون ، مقدمة ، ص 175 .

فقد شهدت الدولة الزيانية مراحل عديدة ، كان لها الأثر الواضح على الحياة الإجتماعية سلبا وإيجابا .

وعلى ضوء ما سبق ذكره سوف نتناول في الفصل أهم ما يتعلق بالأوضاع الإجتماعية بتلمسان من خلال النقاط التالية :

أولا : الرعاية الإجتماعية والوقف في تلمسان .

ـ الرعاية الإجتماعية

ـ الوقف .

ثانيا : مظاهر الفساد في المجتمع .

ـ إنتشار الرشوة والغش .

ـ السرقة .

ـ الإنحلال الأخلاقي .

ثالثا : الأوبئة والمجاعات

ـ الأوبئة

ـ المجاعات .

ثانيا : مظاهر الفساد داخل المجتمع

بالرغم من إنتشار التصوف خلال المراحل التي مرت بها الدول الزيانية وطغيانه فإن حياة السكان لم تكن كلها حياة زهد وتقشف فقد شهدت تلمسان بعض الإنحلال داخل المجتمع ، لعل سبب ذلك يرجع إلى موقع تلمسان ، مما جعلها أكبر مركز تجاري بتوافد عليها التجار من مختلف المدن ، لذا كان لهم دور في إنتشار بعض

العوائد الداخيلة على المجتمع المسلم ، وأدى هذا إلى حب الشهوات والإستئثار حياة الترف المجون ، فقد ذكر إبن خلدون أن " الترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسة ... فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه ، ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فتكون علامة على الإدبار والإنقراض بما جعل الله من ذلك في خليقته ، وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتضعضع أحوالها وتنزل بها الأمراض المزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها " ([159]).

هذا الوصف ينطبق على عصر المازوني ، الذي عرف الضعف والهوان وإنتشار الأفات الإجتماعية ، وعند تصفح كتاب الدرر المكنونة نجد العديد من مظاهر الفساد داخل المجتمع التلسماني نذكر من بينها :

أ ـ الغش والرشوة : إن تأصل هاتين الظاهرتين في المجتمع يعود إلى ضعف تطبيق أحكام الشرع ، حيث يشير الوشريسي إلى ضعف الأحكام داخل البوادي يقول " أخذ بعض الشيوخ إلى الجعائل على الفتاوي ، وفي رد المطلقة ثلاثا ونحوها ، كما يفعل الكثير من جهلة البادية فلا يحل ولا يجوز " ([160])، فمهنة القضاة تأثرت بالضعف السائد فأصبح القاضي يأخذ الرشوة من أصحاب القضايا أو إمراء الدولة أو شيوخ القبائل أو ولاة الدولة الزيانية في نواحيها المختلفة ، كما نجد أن الرعية كانت ترتبط بالعلماء الذين كان لهم إتصال بالسلطنة لرفع الظلم عنهم فصار خير باب من أبواب الرشوة ، لم يكن القاضي والمفتي هما اللذان يأخذان الرشوة بل إمتدت إلى العلماء الذين كانوا على صلة بالأمراض والرعية لذلك كان

[159] إبن خلدون ، المقدمة ، ص 170 .

[160] ـ الونشريسي ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 236 .

الناس يطلبون منهم أن يقضوا حوائجهم ([161])ويوضح لنا المازوني العلاقة بين ضعف البلاد والعلماء بقوله : "سيدي إن حال بلادنا كما عملت من كثرة فسادها وعدم جريان الأحكام الشرعية فيها يقع بالرجل من نازلة يقض الحكم فيها كالحديث في المشهور من المذهب ، كالحدث بالإيمان اللازمة ، مثلا فإذا حكم القاضي فيها بتحريم الزوجة ، فيأمره صاحبه المذكور برجوع الزوجة ، وعدم الإنقياد لحكم القاضي " ([162])

أصبح الناس يفتون بدون العلم في الأمور العقائدية ، دون الرجوع في بعض الأحيان إلى علماء العصر الذين كانوا لا يفتون إلا إذا وصلوا لدرجة الإجتهاد .

أما الغش فكان منتشر بصفة كبيرة في الأسواق ، وبين فئة التجار ، فظهرت في تلمسان النقود المغشوشة ([163])، لم يعطي المازوني وصف دقيق حول ظاهرة الغش غير أن العقباني فصل في هذه الظاهرة ، حيث أورد أنواع عديدة من الغش كقوله: "ومن الغش بنفخ اللحم المهزول " ([164]) هذه ظاهرة شاعت بين الجزارين ، حيث ينفخون داخل اللحم المهرول حتى يتبين للمشتري أنه ممتلئ ، وهذا ما أنكره الفقهاء لأنه يغير طعم اللحم ، وهو من الغش المنهى عنه في البيوع .

كما جرت العادة عند بعض الخبازين أن صنعوا الخبز قبل غربلة القمح حتى صار يشترى خبزا يجد بداخله حصى ، وأخطر أنواع الغش الذي يؤثر على إقتصاد الدولة هو الغش في الدنانير والنقود . ([165])

---

[161] ـ مختار حساني ، مرجع سابق ، ص 185 .
[162] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 41 .
[163] ـ نفسه ، ج 3 ، ص 141 .
[164] ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 226 .
[165] ـ نفسه ، ص 236 .

ب ـ اللصوصية وقطع الطريق : أشار حسن الوزان إلى تفشي ظاهرة السرقة قائلا : "ذهبت إلى السوق لشراء بعض ضروريات السفر الذي كنت أقوم به ... وصلت ممتطيا فرسي وأول ما إشتريته حبال خيام .... وبعد أن فرغت من شرائي وضعت رجلي اليسرى على عنق الفرس حتى أستطيع تعداد مالي على ركبتي وأطلقت العنان إلتفت لا عطي ثمن ما إشتريت ، ثم إستقمت ووضعت رجلي في الركاب لكنني لم أجد العنان عندما أردت إمساكه .... وإذا بسيافين من خدام الملك أتيا وقالا لي:"يا سيدي لقد سرق عنانك بغالان للخليفة لم يدريا أنك ضيفنا " ([166])، وعندما تعرض لمدينة أنكاد أورد بأنها مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على إستعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان ، وقل ما ينجوا التجار من شرهم لا سيما في فصل الشتاء لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ عن أمن البلاد يكونون قد رحلوا عنها أنذاك إلى نوميديا ويبقى غير المستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللصوصية ([167])، فكانت اللصوصية دخلا للكثير خصوصا في أواخر أيام الدولة الزيانية وحتى النوازل الفقهية تعرضت لموضوع اللصوصية فنجد نوازل أوردها كل من صاحب الدرر المكنونة وصاحب المعيار ، فقد ذكر أبو زكريا المغيلي أن عرب كانوا يقطعون الطريق في المارة في أحد نوازله بما نصه " جماعة في مغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد، ليس لهم حرمة إلا شن الغارات ، وقطع الطريق على المساكين ، وسفك دمائهم وإنتهاب أموالهم بغير حق " ([168])

---

[166] ـ حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 27 .

[167] ـ نفسه ، ص 11 .

[168] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 368 .

ويفيد الونشريسي كذلك بوقوع حوادث السرقة وقطع الطريق وغير ذلك من أنواع الفساد ، فقد أورد أن مجموعة من اللصوص سرقوا دكانا وقاموا بقتل صاحبه ، كما ذكر أن لصوصا كانوا يقطعون الطريق ويفسدون في الأرض ([169])، لذا كانت الكثير من المواضيع في تلمسان والمغرب الأوسط تفتقر للأمن بسبب هؤلاء المفسدين ، فذاع الرعب والخوف في المجتمعات ، خصوصا في المناطق الجبلية والبوادي البعيدة عن الحواضر ، كما تستنتج من خلال النوازل التي ذكرها المازوني والونشريسي ، أن قطاع الطرق واللصوص كانوا يحملون معهم أسلحة ، يستعملونها في مهاجمتهم ، لذا أجاز الفقهاء قتالهم ومحاربتهم لحملهم السلاح .

ولم تبقى أعمالهم مقتصرة على السرقة في الأسواق وقطع الطريق وسلب البيوت ، بل إمتدت إلى أعراض الناس وفي هذا يقول المازوني : " سألت الشيخين الفقيهين محمد بن العباس وسيدي الحاج محمد الحفيد العقباني بما نصه " ما تقولان رضي الله عنكم في رجل أتى هو ولصوص معه وهرب بأمرأة على عادة أهل البوادي ومكثت عنده تارة يبيت معها في هذا الدوار ليلة وتارة في دوار أخر إلى أن إنتزعت منه وردت إلى أهلها وأشهرت حين وصلت أهلها أنها مقهورة ومغصوبة " ([170]) وجاء أيضا أن " رجل رفع أمره لقاضي بلده لأنه إستعان ببعض العصاة واللصوص حملهم إلى إمرأة في دوار فحملوها قهرا من وطنها إلى وطنه وأنه تزوجها بأثر ذلك فعزلها القاضي حتى يستعلم حقيقة أمره " ([171]).

من خلال النازلتين نستنتج :

[169] ـ الونشريسي ، مصدر سابق ، ج 7 ، ص 305 ، ج 12 ، ص 58 .
[170] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 127 .
[171] ـ نفسه ، ص 150 .

إن هؤلاء اللصوص إمتدوا إلى نهب المنازل وأخذ نساءها وبناتها دون وجه شرعي .

فضعف سكان البوادي ، وعجزهم عن رد عنوان هؤلاء جعلهم ينتقلون داخل القرى بكل حرية ، لحفاظ هؤلاء السكان على أعراضهم كانوا يسارعون بتزويج بناتهم وهو ما يؤكده المازوني من خلال نازلة نصها " سئل أيضا عن يتيمة خاف عليها قومها من الفساد أن يهرب بها المفسدين طوعها منها أو كرها لكونهم ببلاد سائبة وما هو يعني السايبة لضعف أحكام القضاة ، فإتفق رأيهم أن يزوجوها وهي كارهة معلنة الكراهية ([172]) قد زاد التعي في البوادي نتيجة ضعف أحكام القضاة ولم يكن من يدفع البلوى عن سكان ، لأن شيوخ القبائل هم أنفسهم كانوا يلجأون إلى هذه الطريقة وفي هذا الصدد يقول المازوني أن " بكر يتيمة فرت بنفسها في زمان مسغبة لوطن غير وطنها فوقعت عن شيخ من أشياخ الموضع فحبسها وتزوجها بغير ولي على وجه العداء " ([173]).

ج ـ الإنحلال الأخلاقي : لم يقتصر الفساد الإجتماعي على الرشوة والسرقة بل تعدى إلى حد إنحلال الأخلاق داخل المجتمع ، فقد أشار المازوني في كتابه الدرر المكنونة إلى الكثير من مظاهر الإنحلال كإنتشار الفاسقين ومرتكبي الرذيلة ، حيث يذكر أن "بعض أهل الوقاحة والدعارة هجموا على دوار ليلا وقتلوا من أهله رجلا وقتل أهل الدوار من المهاجمين رجلا في تلك الليلة .... "([174]) تدل النازلة على وصول الدولة إلى كبيرة من ضعف أشرفت به على الهالك .

---

[172] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 116 .

[173] ـ نفسه ، ص 145 .

[174] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 247 .

كما سبق الذكر أن وضعية المرأة في الدولة الزبانية خلال هذه الفترة كانت مترديا حيث إستغلت أبشع الإستغلال خاصة في البوادي حيث ينعدم الأمن لذا شاعت ظاهرة خطف البنات ، لكن هنا يختلف الأمر بل نجد أن المرأة هي التي تقوم بالهروب من البيت الأسرى بكامل إرادتها ، وقد أورد المغيلي مجموعة من النوازل تتعلق بهذا الأمر منها قوله : " إمرأة تنشز من زوجها وتهرب منه مع أخر وينتهي بها لموضع ويتمنع فيه بها فإذا كرهها زوجها أو أياس منها طلب الهارب منه مالا يعطيه إياه فيطلقها زوجها " ([175]) وجاء أيضا " أن رجلا خالع زوجته ثم بعد مدة ظهر بها حمل فقال الناس إنه من فلان لغير زوجها فأخذها قائد الموضع وكتفها وضربها وقال لها أخبريني لمن هذا الحمل لكي تخبره بفلان المقول عند ذلك فيأخذها له بهذا السبب على علم عادة أهل الظلم فقالت له المرأة إنه من معارفي كنت معه في الفساد بعد خلعه إياي " ([176]).

يتبين من خلال ما أورده المازوني أن الإنحلال الأخلاقي كان منتشر بين النساء ويعود إلى الأسباب التالية :

ـ خروج النساء إلى الأسواق بادية الوجه خصوصا في البوادي ، حيث يقول أبو زكريا يحي المغيلي بما حكم " لشهادة من تخرج إمرأة إلى السوق وتحضر اللعب وهي شابة وهو يقدر على منعها " ([177]) وهذا ما يؤكده العقباني بقوله : " ومن ذلك جلوسهن إلى الصناع يستصنعن عندهم شيئا من المصنوعات وكذلك الإطالة بالوقوف على حوانيت البياعين وخصوصا ذوي العطر والطبيب والروائح لأن ذلك كله داعية إلى الفتنة "

[175] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج2، ص 247 .
[176] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 296 .
[177] ـ نفسه ، ج 4 ، ص 337 .

([178]) وجاء أيضا ألهن " يجمعن في بعض الأسواق التي قد يضطررن إليها كسوق الغزل ونحوه وربما خالطهن الرجال وسفلة السماسرة ([179]).

وهذا ما يسمح لهن بالإختلاط مع سفله القوم الذين يسممون أفكارهن فيصبحن عرضة لتلاعبهم .

ـ إجتماع النساء لتويزة بالرغم بأن هذا الأمر مستحسن لما فيه من تعاون وتكافل داخل المجتمع غير أنه كان يعود على المجتمع بنتائج سلبية حسب ما أورده العقباني من " خروج النساء لمجالس تجمعهن كما يفعل عندنا في مجتمع يسمونه التويزة يغزلن عند إمرأة واحدة في منزلها ما تدعوهن لغزله من كتان أو صوف إعانة ورفقا... وكذا خروجهن اليوم لمجالس النساء وإجتماعهن ببعض لما ينتج عن ذلك من التعرض لأخذ مال الزوج أو فتنة الصغار منهن بهروبهن عن أزواجهن وكثرة خروجهن في الأزقة وتعرضهن للفتن " ([180]).

ـ تردد النساء على مقابر ، حيث كان النسوة تجتمعن فيها ويتخذن منها مجالس للتنزه وقد يعارضهن بتلك الحالة كثير من الفساق ([181]).

ـ والذي زاد من إنتشار هذه الظاهرة داخل المجتمع هو إنتشار الجهل بين النساء حيث يقول صاحب الدرر المكنونة أن " رجل من طلبة العلم تزوج إمرأة وإستخبارها بعد بنائه بها عن الإيمان فوجدها جاهلة بوحدانية الله " ([182])هذا الجهل سهل عمل كثير من مفسدي الأخلاق في الأخلاق بالتلاعب بالنساء .

---

[178] ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 263 .

[179] ـ نفسه ، ص 263 .

[180] ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 264 .

[181] ـ نفسه ، ص 264 .

[182] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 190 .

ـ إنتشار الإختلاط في الحفلات كقول ما ذكر في السؤال من الشطح والرقص بين يدي الرجال والأجانب ولا يخفى ما ينتج عن الإختلاط في هذه المواطن الرذيلة من المفاسد " [183]، ويضيف العقباني في هذا الصدد بما قوله " وإجتماعهن للملاهي والرقص الذي ليس من طور العقلاء ومن ذلك تصرفهن بأنواع الزينة البادية وأسباب التجميل الظاهرة على إختيال في المشي وأعمال منتشرة وإظهار ما يستدعي الفتنة فمثل هؤلاء ينبغي منعهن من التصرف على هذه الحالة " [184].

هذا ما شجع النساء على الهروب من بيوتهن وإرتكاب الرذيلة وبذلك إنتشار الأمراض الإجتماعية مما يصعب عالجه .

كما شهد هذا العصر ظاهرة تعاطي الخمور وشرب المحرمات ولعل هذا يعو إلى وجود جاليات مسيحية داخل المجتمع التلمساني روجت بيع الخمور بين أوساط المسلمين قصد إفساد أخلاقهم ، حيث يقول المازوني أن " بعضهم يستحق من اللعب واللهو في العرس ما لم يستحق غيره وهل يباح طعام شارب الخمر وكل ما يوجد بين يديهم من الفواكه اليابسة والخضراء ويصنعون طعاما ليشربوا عليه الخمر وتبقى منه بقية لم تصنع ويشتروا عنبا ليعصروا منه خمرا " [185].

وأبشع مظاهر الفساد هو التجرأ على الدين ، فقد شهدت الأيام الأخيرة من الدولة الزيانية تجرأ الجهالة على الفتوى في النوازل العظام على حسب أغراضهم بما قد نقلوه فلم يفهموه أو قاسوه فجربوه من رخصة قاتل أو نظرة ناظر في مذهب من المذاهب الشاذة الأقوال وربما مر بنظره الفاسد

183 ـ نفسه ، ص 455 .

184 ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 269 .

185 ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 289 .

في أشباه هذه الأقوال إلى إستنباط أشياء لا رأس لها ولا ذنب يخرق في بعضها الإجماع فبينما هو يفتي بأن المطلقة ثلاثا ترد إلى الواحدة وبجواز أم الولد إذا به يفتي بإباحة التيمم للصلاة والفطر في رمضان الصحيح القادر المقيم إذا شق إستعمال الماء وسنم الصبر عن الغذاء وأشبه هذه من الفواحش القاسمة للظهر ([186]).

وهذا ما أضعف الدين وأمة والشئ الذي دعم هؤلاء الجهال هو أخذ العوام عنهم وإقتداء بهم ، فقد حرم العلماء الأخذ عنهم كما شددوا في عقوبتهم حيث يقول العقباني أن "الواجب على كل من ملكه الله تعالى القبض على مثل هؤلاء وإرهاقهم العقوبة الشديدة والتنكيل المبرح لا يتعاطى أحد فوق قدره ولا يتعدى حدود طوره فإن فتنة هؤلاء في الأمة أشد من فتنة الجوع والخوف وتخريب البلاد ونهب النفوس والأموال"([187]).

ثالثا : المجاعات والأوبئة

شهدت تلمسان كغيرها من أقاليم المغرب الأوسط عدة كوارث وأزمات عرفت المنطقة على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى في مسارها التاريخي، فكانت أزمتا الجوع والوباء من أشد البلايا وقعا على هذا المجتمع ، خاصة وأنها شكلت واقعا مريرا وصعب على سكان تلمسان في تلك الفترة .

1 ـ المجاعات في تلمسان إختلفت التسميات التي تطلق على المجاعة بالرغم أنها تصب كلها في مفهوم واحد ، يدل على إرتباطها بنقص الغذاء أو إنعدامه ، وهي ظاهرة إقتصادية وإجتماعية تؤثر على عجلة تقدم الأمم .

أ ـ تعريف المجاعة لغة :

[186] ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 259 .

[187] ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 258 .

فالجماعة في اللغة هي المفعلة من الجوع ومن الفعل جاع يجوع ، فهو جائع وجوعان والجوع نقيض الشبع وهو إسم للمخمصة وهي مصدر مثل المغضبة والمعتبة وهي خلاء البطن من الطعام جوعا والمسبغة أيضا تعني جوعا ، وقد جاء في قوله تعالى:"فلا إقتحم العقبة ، وما أدرك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذي مسغبة " أي الجوع ، فقال سغب الرجل يسغب ، وسغب يسغب سغبا ، جاع والسغبة جوع ([188]).

ويطلق على المجاعة أيضا مصطلح الألبة ، وهي مأخوذة من التألب والتجمع ،لأن الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون إرسالا ، ويقال الجوع أيضا الخوبة وأصابتهم خوبة بالخاء المعجمة : أي المجاعة ، ولفظ الخوبة يطلق أيضا على الأرض التي لم تعطر بين أرضين ممطرتين ، يعني المجاعة والحاجة ، أما الخصاصة فهي الخلة والفقر وذو خصاصة ذو فقر وقيل أن العرب كانت تسمى الشتاء مجاعة لأن الناس يلتزمون فيه البيوت ولا يخرجون إلا للإنتجاع ([189]).

أمدنا المازوني من خلال كتابه الدرر المكنونة بعدة إشارات حول المجاعات التي ظهرت بتلمسان حيث يقول في أحد نوازله أن " إمرأة ترتبت في ذمتها القمح ذلك دارها فلم تمضي أجل الرهن جاء إلى المرأة فوجدها مريضة هي وزوجها وذلك سنة المسغبة " ([190]).

ظهور المجاعات مرتبطة بعدة عوامل وأسباب حيث يقول إبن خلدون : " أن المجاعات تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب ذلك فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح بسبب ما يقع في أخر الدولة من

---

[188] ـ إبن منظور لسان العرب ، حرف ، أ ، ص 431 ـ 432 ، الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، حرف ، أ ، ص 15 .

[189] ـ إبن منظور لسان العرب ، ج 3 ، ص 234 .

[190] ـ المازوني ، مصدر سابق ،ج 3 ، ص 90 .

العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في إنتفاض الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة ، فيقل إحتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة ، والمطر يقوي ويضعف ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته ، إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالإحتكار ، فإذا فقد الإحتكار عظم توقع الناس للجماعات فقل الزرع وعجز عنه أولي الخصاصة فهلكوا ، وكان بعض الإحتكار مفقود فشمل الناس الجوع ([191])،ومن هذا النص يمكن أن نستخلص أن أسباب المجاعات تعود إلى سببين رئيسيين هما :

ـ أسباب بشرية : تتمثل في كثر الجنايات والضرائب وتدهور الوضع السياسي بسبب الحروب والفتن وقلة إدخار الناس للزرع .

ـ أما الأسباب الطبيعية ، فهي ترتبط بالعامل المناخي ومدى تأثيره على الزرع .

وحتى تتضح لنا الصورة هذا الإستنتاج لا بد من ربطه بالواقع المعاش في تلك الفترة كما يلي :

* أسباب بشرية :

ـ الضرائب والجنايات ، فقد عرفت الدولة الزيانية نظاما ضريبيا كان في كثير من جوانبه إمتداد للنظام الضريبي الموحدي فشملت هذه الضرائب الحجر الزواية بالنسبة للواردات المالية للدولة الزيانية ومن جملتها الزكاة وهي صدقات تجمعها الدولة من الأغنياء عينا ونقدا وتودع في بيت مال

[191] ـ إبن خلدون ، مقدمة ، ص 288 .

المسلمين ، أما العشور فهي ضريبة الأرض والمستمدة من ضريبة الخارج [192] .

ـ إعتماد الدولة الزيانية على جمع الجبايات من الجاليات غير المسلمة ، فقد إعتمد السلطان عبد الواحد بن محمد بن تاشفين الزياني (814 ـ 827 هـ / 1411 ـ 1424م) على أعوان من اليهود لجباية الأموال أيضا وقبض الأعشار من التجار الأجانب المترددين على سواحل المغرب الأوسط، فإستغل اليهود هذه المكانة وتطاولوا على الرعية بشتى أنواع التعدي وأكل أموال الناس بالباطل وتوظيف ضرائب متنوعة .

ـ الفتن والحروب فإن الأوضاع السياسية لها صلة قوية بحدوث المجاعات .

جدول (4 – 2) أهم الأحداث السياسية في تلمسان التي لها صلة بالمجاعات

السنة	المكان	الحدث	الأثار الناتجة عنه
640 هـ / 1242	تلمسان	توجه السلطان أو زكريا الأول لإحتلال تلمسان	ـ أعمال النهب والقتل . ـ أخذ الجباية من أهلها بعد إحتلالها
670 هـ / 1271	تلمسان	حصار السلطان المريني لتلمسان . تخريب قبائل بن توجين لتلمسان	ـ قيام بنو توجين بعمليات النهب والعبث والفساد للقرى المحيطة بتلمسان ، كقطع الثمار وإفساد الزروع وإحراق

[192] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 153 .

			القرى إنتقاما من يغمراسن
689 / 697 هـ - 1290 / 1297 م	تلمسان	تحركات السلطان المريني يوسف بن يعقوب المتكررة على تلمسان وحصارها	ـ تحطيم القرى المجاورة لها ونسف زروعها .
698 / 706 هـ	تلمسان	الحصار الطويل	ـ بناء مدينة
1298/1306 م		لبني مرين على تلمسان وإحتلالهم بعض مدن المغرب الأوسط	المنصورة ـ غلاء شديد في الأسعار ـ مجاعة عظيمة ـ خراب عمراني لكثير من المدن مثل : مدينة
771 هـ / 1369 م	تلمسان وقصور بنو عامر في الصحراء	تحرك السلطان المريني عبد العزيز إلى تلمسان وإستيلائه عليها	ـ تخريب قصور بني عامر في الصحراء وإنتهاء معسكر السلطان أبي حمو
792 هـ	تلمسان	الصراع حول الملك	ـ تضرر تلمسان نتيجة ذلك

المصدر : الزركشي ، مصدر سابق ، ص 09 ، ينظر إبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 166 - 167 - 194 - 197 ، السلاوي ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 33 – 69 – 76 – 77 ، إبن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص 194 ، يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 118 - 125 ، التنسي ، مصدر سابق ، ص 130 - 133 ، المازوني ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 115 .

من خلال الجدول يتبين أن الفتن والحروب لها تأثير قوي على الوسط الإجتماعي فإن الحروب غالبا ما تؤدي على إرتفاع الأسعار والحصار هو ضرب قوة الخصم بشن عليه مجاعة (حرب إقتصادية) فالتخريب والنهب هو سبب في تراجع قوة إقتصادية الدولة لذا ترفع الأسعار ويجوع الناس .

ب ـ أسباب طبيعية :

مناخ : عرف مناخ المغرب الأوسط قياسا كبيرا حيث نجد :

مناخ البحر الأبيض المتوسط يسود المناطق الشمالية الساحلية ويتميز بفصلين متباينين فيكون شتاؤه معطر وطويل ، أما صيفه فهو حار وجاف

، وتتسم طبيعة هذا المناخ بعدم الإنتظام لذا يتجلى ذلك في زيادة نسبة الأمطار حتى يؤدي إلى حدوث الفيضانات أما في فصل الصيف فيحدث الجفاف في بعض الفترات ([193])

مناخ الصحراء : يسود في المناطق الجنوبية ويحتل مساحة أكبر في الجزائر ويتميز بالحرارة والجفاف طوال السنة تقريبا ([194]).

يغض النظر عن الأسباب المؤدية إلى حدوث المجاعات ، فهي تعتبر من أهم الأزمات التي تمر على البلاد وأكثرها شدة ووقع على المجتمع .

وعن أهم المجاعات التي حدثت في تلمسان نوضحها في الجدول التالي :

الجدول (4 – 3) أهم المجاعات الواقعة بتلمسان

سنة المجاعة	المكان	السنة الدالة على ذلك
688 – 1284 هـ	تلمسان	ـ تم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت به زمانه زمان وأخلت به الحوادث الحدثان فلم يبقى به علالة ولا تبصر في أرجائه بلالة

[193] ـ فرنان بروديل ، المتوسط العالم والمتوسطي في عهد فليب الثاني ، تعريب : مروان أبي سمراء ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ط1، 1993 ، ص 63 – 64 .

[194] ـ حلمي عبد القادر علي ، جغرافية الجزائر (طبيعية ـ بشرية ـ إقتصادية) ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط 1 ، 1968 ، ص 63 – 95 .

		" .
698 – 707 هـ (1298 – 1307)	تلمسان	"الحصار في إضافته بأهل تلمسان ، وغلاء أسعارها وهلكت الناس بالجوع "
776 هـ - 1374	المغرب الأوسط ككل	قوم بأيديهم أرض بأوامر السلاطين المتقدمين ومن بعدهم يغتالونها بأنواع الإغتلال من الحرث وغيره إلى عالم المجاعة الكبرى .
/	المغرب الأوسط ككل	ستل أيضا الوغيلسي :"عمن ألجأته الضرورة لسلف القمح والشعير والحاجة ألجأته في مسغبة وقعت بالجميع "
/	المغرب الأوسط ككل	سئل عبد الرحمن الوغيلسي عن رجل أخذ دراهم من رجل مستغرق الذمة ....

		وكان في سنة المجاعة .
842 – 1438	تلمسان	وكان بتلمسان غلاء شديد ومجاعة
09 هـ - 15 م	المغرب الأوسط	سئل سيدي المنصور الزواوي عن رجل باع مملوكة في سنة مسغبة
/	المغرب الأوسط	وسئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن رجل قام على أخر في دار فقال له : " المقدم عليه نعم إبتعهما منها في عام المسغبة " .
/	المغرب الأوسط	وسئل شيخنا أبو الفضل العقباني عن رجل أصابته المسغبة فيما فرط من الزمان حتى أشرف على الهلاك .
/	المغرب الأوسط	وسئل أيضا أبو

		الفضل العقباني عن شهادة السماع إذا شهد بها في مدة عشرين سنة كان الوباء والجوع المفرط .

المصدر : العبدري.... ص 09 ، إبن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص 194 ، التنسي ، مصدر ،سابق ، ص 130 ـ 132 ، إبن خلدون ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 325 ـ 326 . المازوني ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 115 ، ج2 ، ص 119 ، ج 4 ، ص 208 ـ 211 .

2 ـ الوباء بتلمسان :

أ ـ تعريف الوباء لغة : يعرف الوباء بأنه كل " مرض عام " (يمد ويقصر) ، وجمع المقصور أوباء ، والجمع الممدود أوبئة ، وقد وبئت الأرض توبا فهي موبوءة ، فقد كثر مرضها وكذلك وبئت توبا فهي وبئة على فعلة ([195])، ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالفرق ،فيقال أحذر الفرق في غنمك ، وقيل الفرق هو العدوى ، ويطلق على الوباء أيضا لفظ الموتان ، وذلك على المجاز أن أصله في اللغة الموت ([196]).

ب ـ الوباء الإصطلاح : إن المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلو من ثقافة علمية حول الأمراض ، فذكر إبن زهر " أن الناس قد إعتادوا إطلاق إسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد وتشمل أكثرهم ، خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في إستعمال الهواء

[195] ـ إبن منظور ، لسان العرب ، حرف الواو ، ص 189 ـ 190 .
[196] ـ نفسه ، ص 280 .

الذي يستنشقونه ، فإذا كان الهواء فاسد عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم " ([197]).

ج ـ أسباب حدوث الأوبئة : بالرغم من أن الأوبئة والطواعين تندرج ضمن الأفات السماوية أو العاهات التي لا بد للإنسان فيها ، بل هي مقدرة من الخالق سبحانه وتعالى ، لأن التأليف الطبية والتأليف التي كتبت عن الطب النبوي قد رصدت لنا جملة من الأسباب منها الطبية والمناخية منها ما يكون ناتج عن الحروب والمجاعات ([198])، ويمكن تلخيص هذه الأسباب في النقاط التالية :

ـ فساد الهواء حيث يقول إبن خلدون " الوباء سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة العمران لما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة " ([199])، وعن فساد الهواء والأسباب المؤدية إلا ذلك ثمة أوردها العقباني والتي تدل على إنعدام شروط النظافة في بعض مدن المغرب الأوسط خصوصا تلمسان ، فقد كانت الطرقات تعج بالأزبال وجيف الحويانات فضلا عن الرحاضات التي تخرج من القنوات وطين المطر المجتمعة في الشوارع ، كما أن قيام بعض الحرفيين بأعمال داخل المدن كان يؤدي إلى تنجس الطرقات ، ومثال ذلك ما كان يفعله الخرازون بتلمسان حيث كانوا يبسطون جلولد البقر في طريق المارة فيؤذونهم بذلك . ([200])

ـ إضطرابات المناخ وتغيير الفصول ، لا تقتصر الإنعكاسات السلبية لتغييرات المناخ على حدوث القحوط والفيضانات فقط ، وإنما تسببت في

---

[197] ـ أحمد سعداوي ، المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي النتائج الديمغرافية ، ص 37 .

[198] ـ سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 118 .

[199] ـ إبن خلدون ، المقدمة ، ص 288 .

[200] ـ العقباني ، مصدر سابق ، ص 263 - 267 .

حدوث الأوبئة الفتاكة التي هددت حياة الإنسان في العصور الوسطى وجعلته دائما عرضة لهذه الأمراض المفاجئة ([201]).

ـ الجماعات وغلاء الأسعار، فقد تحدث الأوبئة جراء المجاعات ، ولكن في بعض الأحيان تكون مجاعات ولا تتبعها أوبئة ، كالمجاعة التي ضربت تلمسان جراء الحصار (628 هـ ـ 707) .

د ـ أهم الأوبئة التي ظهرت بتلمسان

لقد ذكر حسن الوزان أن الوباء يظهر في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات أو خمسة عشر أو خمسة وعشرون سنة ([202]).يمكن أن نذكر أهم الأوبئة التي ظهرت في تلمسان من خلال الجدول التالي :

جدول (4 - 4) أهم الأوبئة التي وقعت في تلمسان :

سنة الوباء	مكان الوقوع	النص الدال على الوباء
748 - 749 - 750 - 1347 - 1348 - 1349	المغرب الأوسط والعالم ككل	ثم جاء الطاعون الجراف
845-1441	تلمسان والمغرب ككل	توفي إبن زاغو المغراوي بتلمسان يوم الخميس وقت العصر الرابع عشر ربيع الأول سنة 845 هـ ـ 1441 م

[201] ـ سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 119 - 120 .

[202] ـ حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 85 .

		بالوباء .
1466 - 871	تلمسان	توفي إبن العباس بالطاعون أخر عام 871هـ - 1466 م ودفن بالعباد .
1519 - 926	تلمسان والمغرب	ظهر الوباء في أول ربيع منها 629 - 1519
		والغاية ما بلغ في اليوم أربعمائة نفس في أخر جماد منها ، وذهب في أخر شعبان وكان إقباله من ناحية تلمسان .

المصدر : إبن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص 187 ، المسند الصحيح ، ص 264 - 265 ، القلصادي ، مصدر سابق ، ص 101 - 106 ، إبن مريم سابق ، ص 357 . التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ص 547 .

إنه من الصعب تحديد جغرافية الوباء ، فهناك أوبئة محلية تصيب بلاد المغرب الأوسط أو إحدى حواضره فلا خلاف فيها وهناك أوبئة عامة تصيب بلاد المغرب كله بل العالم بأسره ، كما هو الحال بالنسبة لوباء 1348 م .

أما أنواع الأوبئة التي عرفتها تلمسان نذكرها حسب الجدول التالي :

جدول (4- 5) الأوبئة والأمراض في تلمسان والمغرب الأوسط وطرق علاجها

نوع المرض	بعض الأدوية والأغذية المفيدة له
الطاعون	تمسح حول دمل الطاعون بالتراب الأرميني
الجذام	البن مفيد جدا لمرض الجذام
رمد العين	لرمد العين كان يؤخذ من أوراق القرع ويغسل ويهرس ويعصر ماؤه ويطبخ بنار هادئة حتى يصير مثل الرب يصفى بخرقة ويقطر في العين ويطلي به الرمد
الجرب والحكة	الترمس مفيد للجرب والحلبة أيضا مفيدة لداء الجرب الرطب

المصدر ، سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 259 - 260 .

هـ - نتائج المجاعات والأوبئة :

* النتائج الإجتماعية ([203])

نستهل هذه المظاهر بمحاولة رصد أوضاع بعض فئات المجتمع المغرب الأوسط الفقيرة زمن الكوارث كفئة المتسولين واللصوص ، وهي تصنف ضمن الشرائح غير منتجة التي شكلت عبئا ثقيلا عن السلطة التي

[203] - سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 215 .

وقفت عاجزة عن التكفل بها ، فمستواها المعيشي جد متدني لأنها عاجزة عن توفير أدى ضروريات الحياة من غذاء ولباس وحتى مسكن ، ولم تكن هذه الفئة وليدة عصر أزمة الجوع وإنما هي نتاج التمايز الطبقي ، فمن حالة الفقر الدائم وأزمات الجوع المفاجئة لم تقوى هذه الفئة على تحمل ذلك فتستمر في نشاطها المعتاد بل ربما يزيد الجوع من حدة إنتشارها .

إمتهان كثير من الأعراب حرف اللصوصية وقطع الطريق على القوافل التجارية والمسافرين ، لقد شاعت داخل المجتمع منذ أمد بعيد غير أنها تستفحل أوقات المجاعات .

* النتائج الإقتصادية :

فبمجرد حدوث وباء أو مجاعة داخل المجتمع حتى تشهد الأسعار إرتفاعا كبيرا ، فتضعف القدرة الشرائية لدى السكان ، من خلال الجدول التالي سنلاحظ الفرق بين الأسعار خلال فترات المجاعة والأوبئة والرخاء كما يلي :

جدول (4 - 6) أسعار السلع في فترات الرخاء والغلاء

المقدار	السعر أثناء الغلاء	السعر أثناء الرخاء
صاع من القمح	ديناران وربع 2.25	1 / 100 دينار = 0.01 دينار
مد واحد من القمح	10 دراهم	15/1 دينار أي 0.06 دينار
فقيز من القمح	08 دنانير	50 درهم = 05 دنانير

فقيز من الشعير	04 دنانير كبيرة	2.5 دينار = 25 درهم
05 أواقي من اللحم	01 دينار	0.31

المصدر ، سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 191 - 197 .

من خلال الجدول نلاحظ إرتفاع الأسعار في فترات الأوبئة والمجاعات على الخصوص القمح والشعير ، ذلك لأهميته لدى السكان فهو ذات صدى إستهلاكي واسع ، كما نلاحظ إرتفاع أسعار اللحوم على أنواعها وهذا راجع لموت العديد من الحيوانات في هذه الفترات .

ـ إنخفاض في أسعار العقارات ، وهذا راجع لإهتمام الناس لتأمين الغذاء في هذه الأوقات نتيجة إرتفاع أسعار السلع الغذائية ، وأمام هذا الغلاء نلاحظ إنخفاض سعر العقارات نظرا لإنخفاض الطلب عليه ([204]).

ـ إنخفاض قيمة العملة أوقات الكوارث ، فعلى سبيل المثال كان الدينار الزياني يترواح في هذه الفترات ما بين 4.48 غ و 4.58 غ أما الدرهم فقد وزنه بـ 1.5غ ([205])

ـ نفاذ الأوقات أثناء الكوارث ، وذلك لزيادة الطلب .

ـ إفلاس الخزينة حيث تصبح دولة غير قادرة على الإنفاق .

إنعكاسات الكوارث على سلوكيات المجتمع

ـ إنتشار ظاهرة الهجرة حيث تذكر أحد المصادر هجرة بعض الأشخاص من تلمسان بسب الوباء ([206]).

[204] ـ سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 202 .
[205] ـ سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 204 .
[206] ـ التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ص 351 .

ـ إرتفاع عدد الوفيات فقد خلفت هذه الكوارث الواقعة بتلمسان خسائر بشرية كبيرة .

خاتمة :

ومن خلال هذا البحث يمكن إستخلاص جملة من النتائج أهمها :

ركز المازوني على المجتمع البدوي ، وذلك لعدة أسباب نذكر أهمها : المجتمع البدوي كان يفتقر إلى حياة التمدن والتحضر ، فكانت حياته خالية من مظاهر الترف والبذخ ، لذلك لجأوا إلى بعض العادات والتقاليد التي حافظوا عليها ، إلا أن هذه العادات منها ما هو إيجابي فأقره الشرع ، ومنها ما هو سلبي رفضه الإسلام .

بعد البوادي وبعد القرى عن حاضرة الدولة جعلها مركز لإنتشار الجهل وإعتداء القبائل العربية والعصبية ، لذا كان هذا المجتع مركز إهتمام الفقهاء وعنايتهم لتطبيق مبدأ الحسبة في هذه المناطق ، كما أدى ضعف الدولة إلى غياب سلطة تسيير المجتمع الريفي ، فقام الفقهاء ، بهذا الدور .

أورد المازوني صورة واضحة ومتكاملة عن الحياة في البادية ، والنظام القبلي ووضح أسس الحياة داخل المجتمع البدوي .

الملاحظ أن العادات والتقاليد التي كانت منتشرة في تلمسان ، تشابهت إلى حد كبير بما كان في المغرب الإسلامي ككل ، وهذا راجع إلى الوحدة الجغرافية لبلاد المغرب والجذور العرقية المشتركة .

إزدهار التجارة داخل تلمسان سمح بتوافد مختلف الطوائف إليها هذا ما أثر على الصعيد الإجتماعي ، فلقد عرف المجتمع الزياني عدة تغيرات أتت على بعض المفاهيم الإسلامية ، ومظاهر ذلك إحياء الإحتفالات كالإحتفال بالمولد النبوي الشريف ، يوم عاشوراء ويناير وغيرها .

كما شهدت الحياة الفكرية داخل تلمسان إزدهارا كبيرا وهذا راجع إلى الدور الذي لعبته المدارس ، الزوايا والمساجد ,

أما النشاط الإقتصادي (زراعيا ، حرفيا ، تجاريا) عرف حيوية ونشاطا كبيرا بالرغم من الإضطرابات السياسية في العديد من المرات .

كما عرف المجتمع ترابط وتكافل إجتماعي كبير ، ويعود ذلك إلى كثرة الأوقاف داخل المجتمع التي ساهمت في بناء منشآت قاعدية كالمدارس والزوايا ، بالإضافة إلى تقديمها يد المساعدة للفقراء والمحتاجين ، وإنتشر الوقف الخاص داخل الأسر التلمسانية .

لم تخلو تلمسان من الكوارث الطبيعية فقد مرت بها العديد من الأوقات الصعبة كالمجاعة الكبرى ، والمجاعة التي عرفتها من جراء الحصار المريني .

تمتع الفقيه ، المتصوف والشريف بسلطة معنوية بدأت مظاهرها واضحة على صعيد المجتمع فقد كان الفقيه مرجعا في ضبط الحياة العامة داخل المجتمع .

وبالرغم من دور الفقهاء في هذا الأخير ، وإنتشار التصوف بين مختلف الأوساط الإجتماعية غير أن المجتمع عرف الفساد الذي يعود إلى ضعف سلطة الحكام وتسلط العرب .

وفي الأخير نشير إلى أنه على غرار جميع البحوث والدراسات ، من جهة وشساعة الموضوع من جهة ثانية فإن دراستنا لا تخلو من النقائص ، إذ تبقى هناك نقاط تستحق التوضيح والدراسة بشكل أعمق بكثير من التحليل كتلك المتعلقة بالجانب الإجتماعي والإقتصادي من خلال التركيز

على التجاوزات التي تكون في المعاملات التجارية ، كذلك جوانب من الحياة الإجتماعية كنظام الوقف والثأر .

وعليه نقول من بين المواضيع التي تقدم كأفاق لدراستنا نجد:

ـ الفوارق الإجتماعية بين المجتمع الحضري والبدوي وأثره على سلوكيات الفرد .

ـ دور الجاليات اليهودية في التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والعالم المسيحي.

ـ الجهاز القضائي في تلمسان ودور الفقهاء في إصلاحه في أواخر العهد الزياني .

الفصل الثالث

أولا : الرعايا الإجتماعية والأوقاف في تلمسان .

1 ـ الرعايا الإجتماعية :

مرت تلمسان بأوضاع عصيبة ، أضعفت السلطان وهددت أمن البلاد، وعلى الرغم من الفوضى السياسية التي كانت تعيشها فإن أهلها كانوا متكافلين .

فقد أمدنا المازوني بصور حول الرعاية الإجتماعية التي كانت تقدم للفقراء والمساكين واليتامى في تلمسان ، حيث أورد في أحل المسائل قائلا : " هل يرخص لمن وجبت عليه الزكاة قبل يوم عاشوراء في تأخير إخراجها إليه إذا كان موسما للمساكين يبرزون فيه ويلحون في الطلب ولا يعذرون من لا يعطيهم فيه قياسا على لزوم تأخير الزكاة عن حلول حولها قبل مجئ السعادة إلى مجيئهم والسعادة أحد مستحقيها " ([207]).

وجود موسم خاص بالفقراء يعد هذا قمة التكافل الإجتماعي ، فقد جرت العادة في تلمسان الإحتفال بيوم عاشوراء وجعلوا في هذا اليوم نصيب للفقراء ، فكانت الزكاة تعطى في ذلك اليوم ، وجاء في نازلة أخرى: " أن فقير سافر لأجل الحاجة التي لحقته وعليه دين كثير ولم يخلف لزوجته شيئا ولا يعرف أحد هل هو حي أو ميت فلحق الزوجة من ذلك الضرر كثيرا ، هي يعطي لها زكاة أم لا ، ولم يكن ترك كفيلا فأجاب يعطي لها إذا كانت على الحالة المذكورة "([208]) .

لم تقف الرعاية الإجتماعية على إعطاء الزكاة للفقراء ، بل شملت جوانب أخرى كتوفير العيش الكريم لليتامى وتعيين الأوصياء على أموالهم ، حيث ذكر المازوني أن : " رجل موصي على اليتيم وبيد الموصي مالا هل يجوز أن يرفع من مال اليتيم في أجرة تعليم الولد في الكتاب أم لا ؟ "

---

[207] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 337 .

[208] ـ نفسه ، ص 341 .

([209])، تبين من خلال النازلة أن هؤلاء اليتامى كان لهم حق في التعليم والذهاب إلى الكتاب ، ولم يغفل أهل الثراء والبر أيضا عن المشاركة في رعاية الأيتام ، فكان الجاري بالمغرب أن يقوم جماعة من العدول بتقديم أحدهم على صبي يتيم الأب تقديما مطلقا لرعايته والإهتمام بشؤونه ([210])،وقد أشار الونشريشي في أحد النوازل أن رجل أوصى لصبية يتيمة بأن يدفع لها بعد وفاته ربع حانوته ، وينفق عليها إلى أن تتزوج ([211]).

كما حظي المرضى والأسرى أيضا بإهتمام ورعاية أهل الخير من الأثرياء ، فأخذ المغاربة تصدق ببعض أملاكه على إبن له فإذا توفي كانت هذه الأملاك صدقة على المرضى من أهل بلده ، وتصدقت إمرأة بجزء من أملاكها لأحد الأسرى كما نلاحظ أيضا أن الميسورين في بلدة ما كانوا يوصون عند شعور بدنوا أجلهم في حالة حدوث وباء بجزء من أملاكهم لفداء الأسرى وبعض جهات البر والخير .

2 ـ الوقف (الحبس)

يعتبر الوقف من أهم معالم الحضارة الإسلامية ، ومن أبرزها تأثيرا في المجتمعات الإسلامية ولقد عرفت منطقة المغرب الإسلامي ظاهرة الوقف منذ القرون الإسلامية الأولى ، وهناك ما يدل على أنها بدأت مع الفاتحين الأوائل ، وظلت الظاهرة في حالة توسع ونماء مستمرين إلى أن بلغت أوجها خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط الإسلامي . ([212])

---

[209] ـ أبو كمال السيد، جوانب من الحياة الإجتماعية ، ص 294 .

[210] ـ الونشريسي ، مصدر سابق ،ج 10 ، ص 294 .

[211] ـ أبو كمال السيد، جوانب من الحياة الإجتماعية ، ص 26 .

[212] عبيد بودار ، دور الوقف في خدمة العلم وأهله ، نماذج من تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط ، قسم تاريخ معسكر، د ت ، ص 01.

قبل معرفة الوقف في تلمسان على العهد الزياني ، يجب أن نشرح هذا المصطلح :

أ ـ الوقف لغة :

إستعمل الفقهاء مادتي " حبس " و " وقف " في التعبير عن الوقف ، فإستعملت كلمات حبس أو ووقف ، وأوقف للفعل ووقف وحبس للإسم وجمعت على أوقاف وأحباس ومحبوس ، الحبس : المنع والإمساك ، في حبس الشئ " وقفه لا يباع ولا يورث " وقال في وقف الدار " حبسها في سبيل الله " ومنها كلمة الوقف والواقف ([213])

ويعرف إبن منظور حبس هو الوقف ، يقول وقفه صاحبه وقفا محرما لا يورث ولا يباع ، يحبس أصله وقف مؤبد ، ونقل الأزهري أن الحبس جمع الحبيس " يقع على كل شئ وقفه صاحبه " وفي حديث الزكاة أن خالدا جعل رقيقه وإعتده حبسا في سبيل الله ، يقال حبست أي وقفت ، وتحبس في الكلام توقف ([214]).

فالوقف هو صدقة جارية ما بقيت أو بقي أصلها ، سواء كان هذا البقاء طبيعيا يحدد العمر الإقتصادي للمال الوقوف ، أم إراديا ويشمل هذا تعريف جميع أشكال الوقف وأنواعه فهو أولا حبس عن إستهلاك الشخصي ، فهو يخدم المصلحة العامة ، وهو حبس عن الإستهلاك والإتلاف والبيع وسائر التصرفات ، وهذا هو المقتضى من حبس لغرض معين واحد هو الإنتفاع به في وجه من جوه البر ، وهو يقع على المال قد يكون ثابتا كالأرض والبناء ، أو منقولا كالكتاب والسلاح ، وهو يتضمن حفظ المال والإبقاء عليه حتى يمكن تكرار الإنتفاع به أو بثمرته وهو بذلك يتضمن

---

[213] ـ منذر قحف ، الوقف الإسلامي تطوره إدارته ـ تنميته ، دار الفكر ، دمشق ، ط 2 ، 2006 ، ص 54 .

[214] ـ إبن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، حرف ق ، ص 752 ـ 753 .

معنى إستمرارية وجود المال حتى يستطيع أن ينتج جريانا في الصدقة ([215]).

ب ـ أنواع الوقف :

للوقف أبعاد دينية ، إجتماعية ، إقتصادية ، وإنسانية أعطت أنشطتها سائر أوجه الحياة الإجتماعية وإمتدت لتشمل المساجد والمرافق التابعة لها والمدارس ودور العلم والمكتبات والمؤسسات الخيرية الكافلة للفقراء .

* الوقف على المساجد :

تعد المساجد أفضل بقاع الله على الأرض ، وكان لزاما على المسلمين تعميرها وتزويدها بالحاجة اللازمة من ترميم وبناء .

أشار المازوني إلى هذا النوع من الحبس في نوازله ، حيث يقول : " سئل سيد أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام التلمساني رحمه الله تعالى فضل حبس مسجد بعد إعطاء المسجد ما يحتاج إليه وتوسيع عليه في ذلك " ([216])يبدوا من خلال النازلة أن الوقف يزود المسجد بالمرافق الهامة كمحلات الطهارة لأن تحتاج إلى إصلاح دائم وتزيدها بالماء الطاهر وتنظيفها ، وأورد في نازلة أخرى أن "دار حبست على مسجد قليلة الكراء هل تعوض بموضع أخر أغبط منها وأكثر فائدة ، وهو أيضا يخاف علبه التهدم والخراب أم لا " 3 تشير النازلة أن أموال الحبس كان يتصرف بها بالكراء والبيع وهذا من أجل ضمان دخل المسجد ، ويبدو أن الفقهاء أجازوا تبديل أو بيع الحبس إذا كان قليل المورد ، بشرط تبديله بمكان أحسن منه. أما القائمون على المسجد ينتفعون بأحباسه ، ودليل ذلك قوله " سئل الشيخ أبو الحسن الصغير عن دار حبست على مسجد فأحتاجت إلى

---

[215] ـ منذر قحف ، مرجع سابق ، ص 63 .

[216] ـ نفسه ، ص 240 .

الرم والإصلاح فطلب الإمام أن تصلح من مال المسجد فهل ترمم بذلك أم لا " 4 ، فأجاب " الحمد لله أحباس دار المسجد من غلة أحباسه واجب إن إمتنع الإمام من الخروج والكراء لتكرى يعطي هو وسائر قومه المسجد من غلة أحباسه وإنتفاع أمام من دار الإمامة كالأجرة على الإمامة " 4 ، وعليه فكل قائم على المسجد من الإمام ، معلم وغيرهم ينتفعون من أحباسه .

* الوقف على المدارس :

عرف الإسلام وقف الأموال على التعليم وبناء المساجد ، فقد أورد المازوني العديد من الأمثلة هذا نوع من الوقف ، حيث أشار في أحد نوازله أن " فقيه بني مدرسة سكنا لطلبة العلم والإقراء " ([217]).

وجاء أيضا أن " رجل كان بإزاء داره برج فبناه بيتا وكان يقول عند أخذه في بنائه إبني ها هنا بيتا يقرئ فيها المؤدب أولادي الصغار ، فبناها وأجذ مؤدبا لأولاده يقرئهم فيها " ([218]).

كما شاعت ظاهرة تحبيس الكتب ، حيث أفادنا صاحب الدرر المكنونة بنص يقول فيه: " أن رجل حبس كتبا بعد موته " ([219]).

فكانت تصرف أموال الأحباس في بناء المدارس وأجرة المؤدب .

وإلى جانب المساجد والمدارس برزت مؤسسات أخرى كان لها دور في إثراء الحياة الثقافية والإجتماعية معا ألا وهي الزوايا ([220]).

---

[217] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 246 .

[218] ـ نفسه ، ص 255 .

[219] ـ المازوني ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 277 .

[220] ـ عبيد بوداود ، مرجع سابق ، ص 21 .

إن الدور الإجتماعي للزوايا لا يمكن إنكاره ، حيث مثلت ملجأ للفقراء وعابري السبيل ومن أبرز الزوايا ، الزاوية التي بناها أبو حمو موسى الثاني سنة 763هـ

على ضريح والده وعمه وخصص لها أوقاف جليلة، وجرايات من العقار المنوع ، وأنفق فيها أموالا كثيرة وأحاطها برعاية([221]) .

* الأوقاف على المساكين والفقراء :

نجد داخل المجتمع طوائف كثيرة تكون محتاجة إلى الرعاية الإجتماعية ، لذا خصص لها جانب من الوقف ، يمدنا المازوني بهذا النوع من الحبس في كتابه ، حيث يقول في نازلة أن : " قوم يعينون أشجار من التين والعنب للضعفاء والمساكين فمنها ما هو مجتمع ومنها ما هو متفرق وتكون الأشجار بموضع ينتفع به بالحراثة لا يزالون يحترثونها وينتفعون بها لأنفسهم ومنهم من يذكر أشجار التين ويخدمها ويأخذ عليها جزاءا معلوما كما جرت العادة بينهم 4 .

وجاء أيضا أن " رجل حبس فدان على الفقراء والمساكين ومات فإن أخذ كراؤه هل يعطي منه لنسل المحبس إن كان فقيرا " ([222]) ، نلاحظ من خلال النازلتين أن هذه الفئة كان لها حظ وافر من الوقف .

يبدوا أن المدارس والمساجد والمنشآت العمرانية التي بنيت في تلمسان كانت من أموال الوقف ، كما هي موضحة في الجدول التالي :

جدول (4 - 1) لأهم الأوقاف في تلمسان :

[221] - عبيد بوداود ، مرجع سابق ، ص 22 .

[222] - المازوني ، نفسه ، ص 259 .

الموقوف	نوع الوقف	سنة الوقف	الواقف
بناء مسجد مقابل باب البنود	وقف على المساجد	696 هـ / 1296 م	أبو سعيد عثمان
مدرسة أبي مدين بالعباد	وقف على المدارس	747هـ / 1347 م	أبو الحسن المريني
بناء مكتبة	وقف على المكتبات (الجانب العلمي)	760 هـ / 1359 م	أبو حمو موسى الثاني
أرض بيضاء	حبس على مسجد	/	/
أرض	حبس على مسجد	/	شيخ من جبابرة العرب
دار	حبس خاص	/	إمرأة حبست على ولدها .
الكتب	حبس على	/	فقيه

	المكتبات والمدارس		
أشجار الدردار	حبس على المسجد	/	قبيلة
أرض	حبس على المساكين	/	/
مال	علي حصن	/	/
دار	حبس خاص	/	إمرأة لإبنتها

المصدر : المازوني ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 226 - 282 ، عبيد بوداور ، مرجع سابق ، ص4 - 21 .

نستنتج من خلال الجدول أن الوقف في تلمسان عرف تنوعا ، وثراء ، كما نلاحظ أن ملوك تلمسان ساهموا في عملية الوقف بشكل كبير جدا من خلال القيام بمشاريع كبرى ، ولم يخلوا الوقف من مشاركة طبقة العوام فيه ، فكثير من النوازل تشير إلى ذلك في ما يخص الأحباس الضعيفة وهذا يرجع إلى محدودية دخل هذه الطبقة إلى جانب التقسيم السابق لأنواع الوقف ، يمكننا أن نقسمه كذلك إلى وقف خاص وهذا النوع من الوقف نجده بكثرة بين أفراد العائلات ، فتكون منفعته خاصة بالأسرة وهناك وقف عام الذي يخدم المصالح العامة للمسلمين وهذا النوع من الوقف كان له الدور الريادي في تطوير المنشآت العمرانية ، والمحافظة على القنوات وصيانتها

والإهتمام بالشؤون الأمنية عن طريق المساهمة في بناء أسوار المدن والإنفاق على المشاريع الجهادية .

* دور الوقف في الحياة الإجتماعية :

يمكن تلخيص أدوار الوقف في النقاط التالية :

ـ كان للوقف دور مهم في تعمير المساجد ، ونشر الفضيلة ، وتغيير المنكر داخل المجتمع .

ـ ساهمت الأوقاف في إنتعاش الحركة العلمية وإستمرارها ، وكان لها دور في تغطية نفقات الطلبة وأجر المعلمين ، وساعد الوقف على ديمومة التعليم .

ـ لعبت الأوقاف دور مهم في الحفاظ على الموروث الضخم من المخطوطات من خلال بناء الزوايا والمكتبات ، فكل ما وصل إلينا من مخطوطات بفضل الوقف وإنتشار ظاهرة حبس الكتب .

ـ ساهم في بناء المدينة ، فالكثير من المنشآت العمرانية العامة كانت تبنى من أموال الحبس.

ـ ساعد على التكافل الإجتماعي ، وإرساء الأخوة عن طريق نزع الفوارق الإجتماعية .

ـ ساهم في التخفيف من ظاهرة التسول في الشوارع والطرقات .

ـ شكل مصدر رزق مهم للفقراء والأرامل واليتامى .

ـ ساعد كثيرا الحركة الجهادية للمسلمين في بلاد الكفار من خلال تجهيز الجيش توفير المال لصناعة الأسلحة وبناء الحصون ، وفك أسر المسلمين من أيدي الأعداء.

الأدوية والعلاج :

يستند العلاج أساسا على الأدوية النباتية واللقاح والفصد ، وبعملية الإسهار وتطهير الأمعاء ، والحجامة وهي أكثر أساليب المعالجة شيوعا بتلمسان (25) وكان بعض الأدوية التي توصلنا إلى معرفتها من خلال ما وجدناه في النصوص الزيانية ، والتي كان المرضى يستعملونها ، وتتمثل في الأنواع المختلفة من الأتربة ومن العرعار ، والأدهان وحب الفلفل والتبوع والتبوع اللبد ، وهي عبارة عن عروق لنبات الأنبسون والسكر ، يخلط الماء ثم تقدم شراب للعلاج (26) ، والعشاري (27) وحب الزنم (26) ، وهو دواء يصلح للأمراض التناسلية والجنسية (29) ، وحب العروس (30) وهو شراب يعالج الصداع ووجع الأسنان، وعصير العناب والرمان (31) .

ومن عادة أهل تلمسان أن يقدموا للمريض مرق الشربة بالدجاج ، وعندما يشتد عليه الزكام والسعال (32) ، وحسو النشا (33) ، وتتم عملية الفصد عندهم بإخراج الدم بواسطة الحجامة ، ثم يتناولون بعض الأشربة المقوية ، والعرعار وأدهنة الجروح وشراب الأرجوان (34) .

نشير هنا إلى أن الخطيب إبن مرزوق قد تعرض لمرض يئس الأطباء من شفائه، فلم يبق لهم إلا أن طلبوا من والده أبو العباس أحمد وهو

الولي الصالح ، أن يتضرع إلى الله ، حتى يكتب له الشفاء ، ففعل فإستجاب الله لدعائه فقال أحد الأطباء : هذا طب القلوب وليس طب العلوم " (35).

وكان الأطباء يعالجون مرض الرمد ، بدواء يحضر بخلط الحضض باللبن ، وتطلى به الأجفان .

لأولى التي تتميز بتعرضها لمختلف الغسل العينان ، بماء يطبخ فيه السادروج ، ويعصب عليها ورق الهذب مدقوقا ومعجونا ببياض ومرض الربو العارض ، وهو عبارة عن ورق الفجل ودهن الورد مدقوقا حتى يصير مرهما (36)

وصعوبته بع إصابته لآلات الرئة وكان العلاج يتم تحت إشراف الأطباء أو في بيمارستان المدينة ، ويبدون أن بيمارستان تلمسان ، لن شيد قبل عهد أبي حمو موسى الثاني (37)، لأن السلاطين الذين سبقوه كانوا أيضا سباقين إلى عمل الخير وخدمة الرعية ، مولعين بالبناء والتشييد ، ومتنافسين عليه ، وقد سبق ليوسف بن (23) ومرض الرمد الذي يعرض لعقوب أن بنى رستانا في مدينة المنصورة أثناء حصاره الطويل لمدينة تلمسان ، وعني بتجهيزه سائر ورطوبة وكثيرة وبكاء دائم لفرط الوسائل المادية والبشرية (38) .

ويعمل بالمستشفى الأطباء والحكماء ، لمداواة المرضى ومعالجتهم والتخفيف عن آلامهم ، ومعاناتهم والتصرف في مطالبهم (39) ، وكانت به عدة غرف متخصصة للحمى والمجانين المجذوبين (40). وبالرغم من أنعدام الوثائق التي تبين سير العمل في البيمارستان التلمساني ، وتوضيح هيئة الموظفين الذين يعملون به ، إلا أنه يمكن إستخلاص ذلك، من خلال إشارات في هذا الباب وردها حسن الوزان الفاسي ، والذي أكد على وجود

موظفين للمستشفى إلى جانب الأطباء والحكماء ، منهم الكتاب والممرضون والحراس والطباخون وغيرهم ، يتقاضى كل واحد منهم أجرا عددا كل شهر (40).

كانوا يتتبعون الحالة الصحية لكل نزلاء البيمارستان ، وكان الطب النظري موضوع عناية عدد كبير من الأدباء والفقهاء ، نظرا لعناية الدولة ورعايتها لهذا الجانب من العلوم الطبيعية (42) ، فضلا عن المهمة الصحية والإنسانية ، التي يقوم بها البيمارستان كان يستقبل الغرباء وستيضيفهم لمدة ثلاثة (03) أيام (43)، ويداوي الطيور والحيوانات الجريحة ، ويتكفل بغسل الأموات الغرباء وكفهم ودفنهم (44) .

والظاهر أن المستشفى كان يعالج المرضى بالموسيقى ، فقد كان له توقف برسم الموسيقيين الذين كانوا يزورونه مرة أو مرتين في الأسبوع ، ويقدمون للمرضى ونزلاته نغمات موسيقية مناسبة لهم (45) لأن ذلك يفيد في إنشراح الصدر وإنعاش الروح ، فتقوى ضربات القلب وتعود الأعضاء الجسمية إلى تأدية وظائفها ، فقد كان العلاج بالموسيقى والغناء من الوسائل النافعة في علاج الحمق ، كما هو الشأن في الوقت الحاضر (46) .

وكانت طريقة العلاج أيضا تخضع للطريقة النفسية ، وهي طريقة معالجة الأضداد بالملاطف والتدبير (47)، وكان يقدم للمرضى ثياب بالمجان للنوم في الليل والنهار وفي فصل الصيف والشتاء (48)، وقد ألحق بالمستشفى ، صيادلة لصناعة الأشربة والأدهان والأكحال (49)، وتوجد بعض الصيدليات التي يملكها الأطباء ، في سوق العطارين تباع فيها المواد

المتعلقة بالعطارة والطب ، التي يهيئها الأطباء والحكماء في منزلهم ، وتباع للمرضى مقابل وصفة طبية(50).

أشهر الأطباء بتلمسان :

كانت مهنة الطب متداولة بعناية في تلمسان خلال العهد الزياني ، وكان الأطباء والعلماء يقومون بتدريس العلوم الطبيعية ، النظرية والعلمية للطلبة ، في بعض مساجد تلمسان ومدارسها وفي البيمارستان والتي تحتوي على كراسي هذا العلم ، وقد حرص سلاطين بني زيان وذوي النباهة من أبناء تلمسان وعلمائها على العناية بالطب ، إلى جانب عنايتهم بالعلوم الأخرى ، الدينية وبالأداب ، والعمل على إقتناء نفائس كتبها ، وتجميع مصادرها من المغرب والأندلس والمشرق، وبذلك تعددت مصادر العلوم بخزائن تلمسان ومكتباتها في الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية والبيطرة وعلم النبات وغيرها (51).

فقد كانت هذه الكتب والرسائل العلمية ، تؤدي للطلاب أنفع الخدمات، والحصول على ما يحتاجونه من مادة علمية ومن أدوات البحث ، فالنصوص تشير إلى وجود أكثر من ثلاثمائة عنوان لمصنفات الطب والصيدلة ، في خزائن حواضر المغرب خلال العهد الزياني (52)، وقد برز في العلوم الطبية من التلمسانيين في العهد الزياني كان لبعضهم باع في هذا المجال نذكر منهم ما يلي :

1 ـ أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني ، نبغ في العلوم الطبية والفقه والخطابة ، وكان يؤم الناس في الصلاة ، قربه السلطان أبو تاشفين الأول ، ورعاه حتى صار طبيبه الخاص (53).

2 ـ أبو عبد الله محمد بن جمعة التلاليسي ، من أهل تلمسان ، كان جراحا ممتازا، قام بعملية جراحية لأمعاء السلطان أبي يعقوب المريني ، وأخاط الجرح الذي أصابه في بطنه ، بالمنصورة كطبيب ، إختصه السلطان أبي حمو موسى الثاني ، فكان طبيب البلاط ، فضلا عن كونه شاعرا مميزا مدح السلطان في كثير من المناسبات ، وله قصائد كثيرة من المولديات(55).

3 ـ محمد بن علي بن فشوش : طبيب تلمساني ماهر، زاول مهنته بكفاءة عالية، وكان يدرس تلمسان ، قصد الأخذ عن أطبائها وعلمائها وفي هذا المجال يقول :"ولقينا بها (تلمسان) جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء منهم محمد بن علي بن فشوش ، أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدراسة ، وسمعت من فوائدهم ، وحضرت دروس بعضهم ونقلت عنه أشياء وأجازوني . " (59).

4 ـ موشى بن صمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب المعروف بابن الأشقر يعد من أشهر الأطباء وأمهرهم قدوة وحدقا في ميدان الطب ، ولد بمالقة قبل سنة 820 هـ 1418 م ، أخذ هذا العلم عن أبيه أشتهر بهذه الصنعة في الأندلس ، ثم إنتقل إلى تلمسان وحط رحاله بها ، حيث زاول بها مهنة الطب وتدريسه للطلاب المتمهنين به ، فلازمه كثير منهم وتوافدوا عليه من حواضر وأقطار مختلفة طلبا لهذا العلم ، وقد درس عليه الرحالة المصري وأجازه، فقال عنه : " لم أسمع بذمي ولا رأي كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوفق والميقات " (57).

أخذ شهرة كبيرة في مدينة تلمسان وداع صيته خارجها ، أنتهت إليه دراسة الطب، وصار الطبيب الخاص للبلاط الزياني والمقرب من أمرائه (58).

5 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التلمساني الثغري الطبيب ، ألف رسالة أو معجمها صغيرا في الطب رتبة على حروف المعجم ، هو عبارة عن قائمة ، بأسماء الأعشاب ونحوها ، مما يتداوى بها في ذلك العصر ، أضاف له معلومات شخصية عن الأدوية الشائعة في التطبب في عصره (59).

إستهل إبراهيم معجم أو رسالته هذه ، بالأدوية النافعة لبرد الدماغ ، وهي تشمل على أضمدة أدهان وغيرها ، تحتوي الرسالة على وصف أدهان وأشربة وسفوفات ومعاجين ، مع ذكر منافعها الطبية ، كما تتعرض إلى بعض أمراض العين (60).

وساهم بعض الفقهاء والعلماء في ميدان الطب، وإن لم يكونوا متخصصين فيه مثل :

6 ـ الفقيه أبي الفصل المشذالي التلمساني (ت 866 هـ / 1461 م) ، الذي درس الطب في محمد إبن علي من فشوش التلمساني السالف الذكر . (61)

7 ـ الفقيه الصالح محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ / 1489 م) ، الذي درس العلوم الطبية ، ولكنه لم يخرج في تناوله لهذه العلوم عن دائرة إختصاصه، بل جعل معارفه المتنوعة تكمل بعضها ، فقد ربط بين الدين والطب وإستعان بالأحاديث النبوية ، في المجال الطبي والتزم بتوجيهاتها في الإمتهان به (62).

وقد كتب في هذا الميدان مصنفا سماه " شرح المعدة بيت الدواء والحمية رأس الدواء ، إستهله بقوله : " فقد جرى بيني وبين إخوان نجباء لكلام في فصل صناعة الطب ، وأنها شطر العلم" ، وختمه بقوله : " كذلك تقبل الأعضاء قبولا حسنا لإستفراغها من العظلات ، بسبب الرياضة فتستقيم بذلك الصحة بأذن الله عز وجل " (63).

والظاهر أن لهذا المصنف عدة عنوانين منها : " رسالة في الطب " و"تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية ، من غامض أسرار الصناعة الطبية أوضح فيه السنوسي الحمية ثم إنتقل إلى الأغذية والفواكه والأشربة وتأثيرها على الجسم ، كما تحدث عن الهضم والإخلاط ، وتأثيرهما على الصحة وواجبات الإنسان في حفظ المعدة والعناية بها (64).

وله تأليف أخر في ميدان الطب عنوانه : " مجريات في الطب " و"مقدمات فوائد" يتكون من 144 ورقة في الطب أيضا (65) ، وله شرح لأرجوزة إبن سينا في الطب لم يكمله (66).

8 ـ ومنهم أبو عبد الله المالقي المتطبب ، الذي عاصر العالم الفقيه الآبلي والإمام المقري الجد (67).

9 ـ ومنهم داوود عبد الله البغدادي ثم التلمساني ، الطبيب الماهر ، كان ضريرا عاش ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين ، تميز بمعارف طبية عظيمة(68).

10 ـ ومنهم الفقيه أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن الإمام (ت 845هـ / 1441 م) صاحب القدم الراسخ في التصوف والأدبيات والشعر والطب (69).

ولعله من دوافع شرب الأدوية المانعة للحمل ، الخوف من الإختلاط في الأنساب والدماء (196)من جهة ، أو خوفا من أن تصير الأمة أم ولد ، فيقع عتقها وتحريرها بعد وفاة سيدها ، وقد عبر إبن خلدون عن خطوة هذه الطاهرة الإجتماعية بإختلاط الأنساب وفساد النوع (197).

وكان الإغتصاب أو " الغصب " بلغة الفقه ، معروفا عند أهل تلمسان تتعرض له الأمة والحرة على حد سواء (198)، وكانت هذه الظاهرة لا تزال في المجتمع المغربي بصفة عامة ، تؤثر على سمعة البنت ، وعلى زواجها ، لأن الزوج كثيرا ما يدعي أنه وجد زوجته ، مفتضة البكارة أو ثيبا (199) ، ومن ضمن الشروط الصارمة أن تكون العروس بكرا .

وأمام هذه الآفات الإجتماعية الخطيرة ، التي بنبدها الإسلام ويحرمها ، أضطرت بعض العائلات للحفاظ على الشرف ، إلى أن تسارع في تزويج بناتها ، حتى قبل بلوغهن ، وإذا كانت بعض الأسر الميسورة ، قد أشهرت بالإغتصاب فأن عبيدها تجرأوا على نساء أسيادهم ، مما كلفهم قطع أعضائهم التناسلية (200).

وهناك ظاهرة أخرى سيئة ، تفشت في وسط نساء وجواري القصر ، ذكرها الفقيه أبو البركات ، في كتابه " بشائر السعود " الذي أهداء إلى السلطان الزياني، أبي عبد الله محمد الثابتي ، المتوكل على الله سنة 883 هـ - 1478 م .

وتتمثل هذه الظاهرة فيما يسمى بعملية المساحقة ، وهي مخالطة المرأة للمرأة ، وقد أصدر الفقهاء فتوى بتأديبهن دون التمثيل بهن ، وفي هذا الصدد يقول أبو البركات : " وعلى المرأتين معا في المساحقة ، الأدب

بقدر إجتهاد الإمام ، ولا ينتهي بهما إلى المثلة بقطع جارحة أو نحوها " (201).

وقد أعطيت هذه الظاهرة السلطان المتوكل على الله، لكثرة ذلك الفعل في قصره ، وفي هذا الشأن يضيف أبو البركات وأعياه الأدب والضرب والسجن بأنه يكبلهن ، بقيد ضيق جدا ، لا تكاد المرأة تفتح رجليها به ، ففعله بكل ما فعله ، عنده من النساء فإنقطع ذلك الفعل " (202).

خطة المظالم :

تعتبر خطة المظالم أو ولاية المظالم ، كما تسمى أيضا من الخطط المكملة للقضاء (203)، والمظالم قد يكون من أفراد المجتمع أو قد تكون من الولاة، وعمال الدولة ، وكبار موظفيها ، وهي ما تكون بمحكمة الإستئناف ، والقضاء الإداري والإستنائي في الوقت الحاضر (204).

ويستعين والي المظالم ، بهيئة من المساعدين والأعوان والمستشارين والقضاة والعدول ، ويعرفها إبن خلدون بقوله: " وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة، ونصفه القضاء ، وتحتاج إلى غلو يد وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي ، وكأنه يمضي ما عجز القضاء " (205).

وتفوق صلاحيات صاحب المظام ومهامه الواسعة ، سلطة القاضي وإختصاصه فهو الذي تولى إحقاق الحق وإظهاره في الحالات التي تتعدى أحكام القاضي ، أو حينما يفتقد هذا الأخير إلى السلطة الأوروبية (206).

وكان بعض الخلفاء الأولين يباشرون هذه المهمة بأنفسهم ، أما أمراء الدول المتأخرة وسلاطينها والذين تعاقبوا على حكم بلاد المغرب الإسلامي

، فقد تولوا هذه الوظيفة بأنفسهم في أغلب الأوقات ، خاصة منهم الموحدين (207) والحفصيين (208) والزيانيين (209) .

ويبدون أن خطة المظالم كان يتولاها سلاطين بني زيان في أغلب الأوقات ، وكانوا يقلدونها إلى بعض الفقهاء ، وقد إنفرد إبن مرزوق الجد ، بذكر إسم واحد كان يتولى مجلس المظالم ، في مجموعه وهو الفقيه العالم أبو العباس أحمد المعروف بإبن الفحام التلمساني ، الذي جمع بين خطبتي المظالم والشرطة بمدينة تلمسان ، في عهد بني زيان ، وقد وصفه إبن مرزوق بأنه " أعلم وقته والواحد في عصره وإذا لقيته كأنك لقيت إمام مسجد " (201).

وعندما إستولى أبو الحسن المريني ، على مدينة تلمسان والمغرب الأوسط، ومكث بها نحو إثنتي عشرة سنة ، كلف أبا عبد الله محمد الخطيب بن مرزوق الجد بالنظر في الشكايات نيابة عنه (211).

وكان أبو الحسن حريصا على أن يجتمع في كل مدينة بعد صلاة الجمعة ، بقائدها ووالي قصبتها وخطيبها والعدول للإستماع إلى جميع الشكايات التي ترد إليهم (212)، ولا شك أن هذا التقليد كان متبعا في مدينة تلمسان في عهده.

وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني يخصص يوما في الأسبوع ، وهو يوم الجمعة بعد الصلاة ، للنظر في المظالم وسماع شكاوي الناس ، مهما كانت فئاتهم الإجتماعية ، وقد وضح ذلك في كتابه واسطة السلوك ، الذي كتبه لإبنه أبي تاشفين ، وقدم له فيها نصائح ووصايا تعينه على إدارة شؤون الدولة والبلاد، وفي ذلك يقول :" وبعد فراغك ، من الصلاة (صلاة الجمعة) تجلس بمجلسك للشكيات ، تأخذ في القضاء الحاجات والفصل بين

الخصماء ، والإنتقام من الظلمة لغثماء ، فتقمع الظالم وتقهره وتحمى ، المظلوم وتنصره وتحضر الفقهاء في مجلسك ، حين الفصل بين الناس لإزالة ما يبع في الأحكام من الإلتباس ، وهذا المجلس في اليوم المذكور تخصص للرعية الجمهور فيه تتقعد الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام والمحتاجين ، وأن تنظر في أهل سجوناتك " (213).

والحقيقة أن ما جاء في هذا النص ، هو صور حقيقية لما كان يقوم به أبو حمو موسى الثاني ، في دراسته لسياسية الرعية طوال فترة حكمه ، وهي خلاصة لتجاربه السياسية الميدانية ، فقد كان ينظر في أحوالهم مساء كل يوم جمعة ، ويستمع لمظالمهم ويصدر في ذلك أحكاما وهي صورة لمجلس المظالم ، الذي كان يعقده كل أسبوع من أيام حكمه (214) .

والظاهر أن أبا حمو كان يلتزم بالحديث النبوي الشريف ، الذي يحث الحاكم على إستقبال الرعية ، والإستماع إلى مظالمهم ، وينص الحديث على " ما من إمام يغلق بابه دون الحاجة الخلة والمسكنة ، إلا أغلق الله أبواب السماء ، دون خلته وحاجته ومسكنته " (215).

ـ الدواوين :

إستند النظام الإداري العسكري في الدولة إلى دواوين ، وبدأت قليلة العدة ثم توسعت وتعددت حسب الحاجة . ([223])

كلمة الديوان كلمة فارسية معربة ، معناها الدفتر أو السجل ومجتمع الصحف وأصله ديوان وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء. ([224])

---

[223] ـ محمد حسين الزبيدي ، صالح صادق السباني ، المرجع السابق ، ص 180 .

[224] ـ إبن منظور ، المصدر السابق ، ص 166 .

وأطلق إسم الديوان إلى المكان أو الدائرة التي تحفظ فيها الأوراق والسجلات والديوان بالفارسية إسم الشياطين ، وسمى الكتاب بإسمهم لحذفهم في الأمور ووقوفهم على الجلي والخفي منها . ([225])

ثم سمي مكان جلوسهم بإسمهم فقيل ديوان ، وهناك من يرى أن أصل الديوان عربية من كلمة دون ، ولذلك بالنظر إلى اللفظ المقترن بديوان الشعر ، فالدواوين هي الدوائر الرسمية التي تكون مهمتها القيام بالأعمال الإدارية ، والأشراف على شؤون المال وهي تقابل الوزارات في الوقت الحاضر . ([226])

1 ـ ديوان الإنشاء :

في دولة أبو حمو موسى الثاني العبد الوادية ، وبما أنه لم يسبق لغيره من المؤرخين الإشارة لهذا الديوان بإستثناء ما قيل عن الكتاب الإنشاء ، فإن الأخذ بقول يحي له أهمية خاصة ، وديوان الإنشاء والتوقيع هذا يمتاز بأهمية كبيرة في الدولة إذ يعتبر صاحبه الأقرب إلى السلطان بعد الوزير ، وبالنسبة للبريد الذي لا يعرف الباحث عنه شئ في هذه الدولة ، لأنه البريد له علاقات وطيدة مع ديوان الإنشاء في الدولة الإسلامية الأخرى أما الدولة العبد الوادية فيبقى الأمر دون تفسير. ([227])

2 ـ ديوان العسكر :

تم إختيار هذه التسمية لكون صاحب هذا الديوان كان يسمى كاتب العسكر ، هذا أدمج بعد يغمراسن ضمن دواوين أخرى ، ووجود الكتاب الذين يختصون بتعداد أفراد الجيش ، وتصنيف تخصصات العساكر والسند

---

[225] ـ محمد محاسنة ، الحضارة الإسلامية ، مركز بريد للنشر ، اليرموك ، جامعة مؤتة ، عمان ، ط 1 ، 1446 - 2005 ـ ص119 .

[226] الماوردي ، المصدر السابق ، ص 249 .

[227] ـ بوزياني دراجي ، المرجع السابق ، ص 38 .

في ذلك ما أورده يحي إبن خلدون حين وصف العرض العسكري الذي نظم تحت رعاية السلطان . ([228])

3 ـ ديوان الأشغال والعلامة :

تستوحي هذه التسمية من خلال ما ذكره يحي إبن خلدون عند تحديد تسمية صاحب الديوان ، حيث أطلق عليه عبارة " الأشغال والعلامة ، وكذلك عندما تعرض الفقيه أبي عبد الله محمد إبن أحمد فقال عنه : " إختاره مولانا أمير المسلمين أيده الله لكتب العلامة والإحاطة به ، للشهادة على صندوق المال توسما فيه الثقة " ، ولذلك تحتمل أن تكون التسمية الحقيقية لهذا الديوان لدولة بني عبد الواد هي ديوان " الأشغال والجابيات " ، كما كان يسمى من قبل ديوان " الخراج والجابيات " ، ومن مهمات هذا الديوان ما يلي :

1 ـ جمع الجابيات .

2 ـ محاسبة عمال الدولة .

3 ـ الإشراف على صندوق المال أو بيت المال . ([229])

2 ـ القضاء :

أ ـ القضاء لغة : هو الحكم والقاضي لأمر للتداعي وقطعا للتنازل ، أو الأخبار عن الحكم الشرعي على سبيل الإلزام . ([230])

ب ـ أما مفهوم المظالم في القضاء السياسي : ورد في المعجم الوسيط عادة الظلم من السواد ، فأظلم الليل أسود ومنه أظلم البحر والشعر ، وأظلم فلان علينا البيت أسمعنا ما نذكره وتظلم القوم أي : ظلم بعضهم بعضا ،

---

[228] ـ بوزياني دراجي ، نفسه ، ص 180 .

[229] ـ يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 38 .

[230] ـ إبراهيم أنيس ورفاقه ، المرجع السابق ، ج 2، ص 277 .

وفي اللهجات الشائعة أتظلم أي أظلم بشدة على الغلاء ، والظلماء ذهاب النور وظلمات البحر شدائد ، والمظلمة الظلامة جمعها مظالم . ([231])

أما فقهاء المظالم : هو القضاء المختص في رفع الظلم عن الناس إذا وقع من الظالم أذى بأسس كالدولة ، ومن يمثلونهم بجهاز الحكم كالخليفة والوزراء والولاة وقادة الجيش والقضاة والشرطة ، وكل من هو محسوب على الجاه أو مدعوم من السلطة ، والمعنى اللغوي هنا ليس هو الذي يحدد القصد ولاية المظالم . ([232])

ـ شروط القاضي : 1 ـ الذكورة .

2 ـ البلوغ .

3 ـ العقل .

4 ـ الحرية .

5 ـ الإسلام .

6 ـ العدالة .

7 ـ السلامة في السمع والبصر .

8 ـ العلم بالأحكام الشرعية .

بالإضافة إلى : 9 ـ العفة

10 ـ الشرف

11 ـ الصحة .

12 ـ التعبير

13 ـ والفطنة . ([233])

---

[231] ـ محمود الخالدي ، الإسلام وأصول الحكم ، عالم الكتب الحديث ، اليرموك ، 142 ـ 2005 ، ص 426 .

[232] ـ نفسه ، ص 427 .

[233] ـ محمد عبد المنعم الجمل ، المرجع السابق ، ص 43 .

بسبب إنشغال الأمراء الزيانيين بالسياسة فإنهم مثل الأمراء السابقين في دار الإسلام، فوضعوا القضاء وعينوا في عدة أقاليم القضاة ، ويبدوا أن سلطة القاضي في الدولة الزيانية لم تقتصر على أعمال قضائية الصرفة وحدها ، وإنما إمتدت أيضا إلى أمور دينية ليس لها علاقة بالقضاء ولكن ضمت إلى نظر القاضي بسبب معرفته لشرع الإسلامي ، وأصبحت مقررة في سلطته على حسب ما عرف " بالعرف والإصطلاح" ، فكانت أعماله الإضافية تتكون غالبا من الصلاة والخطابة في المساجد ، والإشراف على الأماكن الدينية على أموال الغائبين والمفقودين وعلى الذهب والفضة والمكاييل ، وولاية الحج وأخذ البيعة للخليفة ومصاحبته الجيش في الحروب . ([234])

ويبدو أن المكان الذي يجتمع فيه القاضي بالخصوم كان يعرف بإسم " مجلس الحكم"، وحيث أن المساجد وقتئذ لم تكن تقتصر على أداء الصلاة فحسب ، وإنما أيضا كانت مكان للفصل في أمور الناس ، أو تعليمهم أو حتى تصريف الأمور التجارية . ([235])

وعلى ذلك فإن صلاحيات محكمة المظالم عشرة أقسام في كتاب الماوردي :

القسم الأول : النظر في التعدي الولاة على الرعية ، وأخذهم بالسعف في السيرة فيتفحص أحوالهم فيكفهم إن عسفوا ويستبدلهم إن لم ينصفوا .

القسم الثاني : جور العمال في ما يحبونه من الأموال . ([236])

القسم الثالث : تفحص أحوال كتاب الدواوين .

---

[234] ـ رشيد بوروبية وأخرون ، المرجع السابق ، ص 469 .

[235] ـ رشيد بوربية وأخرون ، نفسه ،ص 470 .

[236] ـ الماوردي ، المصدر السابق ، ص 118 .

القسم الرابع : تظالم المرتزقة من نقص أرزاقهم من ديوان العطاء .

القسم الخامس : رد الغصوب السلطانية التي تغلب عليها ولاة الجور وذوي الأيدي القوية .

القسم السادس : مشارفة الوقت العام والخاص .

القسم السابع : تنفيذ ما عجز عنه القضاة من الأحكام ليست للمحكوم عليه ، أو القوة بيده أو لعلو قدره وعظم خطره .

القسم الثامن : النظر بما عجز القضاة الحسبة في مصالح العامة .

القسم التاسع : مراعاة العبادات الظاهرة كالجمعة والحج والجهاد . ([237])

القسم العاشر : النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين ، وإذا ما فكرنا تفكيرا مستنيرا فيمكن أن يتولى صلاحية حسن القضاة محكمة المظالم لا نجد إلا أن يكون إختصاصه النظر في عزل القضاة محكمة المظالم . ([238])

ينتقي القضاة من بين الفقهاء ذوي المكانة واليد الطولي في العلوم الشرعية . ([239])

هذا ما يثبته قول أبي حمو موسى الثاني في وصيته لولي عهده : " يا بني وإما قضائك فيجب عليك أن تتخذ قاضيا من فقهائك أفضلهم في متانة الدين ، وأرغمهم في مصالح المسلمين لا تأخذك في الحق لومة لائم ، وليسمع بضلامة ظالم ولا يغتر برشا ولا يتعلق دوله منه برشا ، يساوي

---

[237] ـ الماوردي ـ المصدر السابق ، ص 119 .

[238] ـ محمود الخالدي ، المرجع السابق ، ص 405 .

[239] ـ بوزياني دراجي ، المرجع السابق ، ص 249 .

بين الشريف والمشروف والقوي والضعيف، إنما يتقيد بالأحكام ، مفرقا بين الحلال والحرام قاضيا بالعدل أخذا بالفضل موجزا في الفصل " . ([240])

ويستعين والي المظالم بيهئة المساعدين والأعوان والمستشارين والقضاة العدول ويعرفها إبن خلدون : " هي وظيفة دينية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء وتحتاج إلى رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز عنه القضاء " . ([241])

تعتبر خطة المظالم أو الولاية المظالم كما تسمى أيضا ، من الخطط المكملة للقضاء والمظالم وقد يكون من أفراد المجتمع ، أو قد يكون من الولاة وعمال دولة وكبار موظفيها ، وهي أشبه ما تكون بمحكمة الإستئناف والقضاء الإداري والإستثنائي في الوقت الحاضر . ([242])

ـ وظائف القضاة :

أما مهام القضاة في دولة بني عبد الواد فإنها لا تختلف كثيرا عن مهام القضاة ، في بقية الدول الإسلامية عامة ودول المغرب الإسلامي ، ومع هذا فإن صلاحيات القاضي العبد الوادي واسعة كما كان عليه الحال بالنسبة لقضاة الدول المغربية الأخرى ، ومما يدل على أن للقاضي حدود يقف عندها قول أبي حمو ، حين شرح دور السلطان في مجلس المظالم فقال : " فمن كان له حق من الحقوق الشرعية رددت أمره إلى قاضي البلد ليفصل بالقضية ، ومن كان من غير ذلك من الأحكام التي لا يقضي فيها

---

[240] أبو حمو موسى بن زيان ، المصدر السابق ، ص 62 - 69 .

[241] ـ إبن خلدون ، المقدمة ، ص 575 - 576 .

[242] ـ عبد العزيز فيلالي ـ تلمسان في العهد الزياني ، مؤتمر لنشر وتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ج 2 ، ص 232 .

أحد سوى إمام فصلته بما يقتضي نظرك السديد ورأيك المصيب الرشيد " . ([243])

3 ـ الحسبة

أ ـ لغة : تعني الكرم والشرف الثابت في الأباء وحسب الدين وحسب مقدار الشئ وحسبك كفاك وحسب الشئ عده ، والإحتساب والحسبة حسن التدبير والمسارعة إلى طلب الأجر ([244]).

ب ـ أما إصطلاحا : هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله . ([245])

وهي وضيفة دينية ظهرت في العصر الإسلامي تضمنت قيام صاحبها بمراقبة الأسواق، وكل ما يجري فيها بما في ذلك سلوك الإنسان ومعاملاته . ([246])

قال تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " . ([247])

قال إبن خلدون : " هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي هو فريضة على من يتولى أمور المسلمين ، ويعين لذلك من يراه أهلا لها فيتعين فرضه عليه ، ويتخذ أحوال على ذلك من يراه ويبحث عن المذكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ، ويحمل الناس على المصالح العامة المدنية " . ([248])

---

[243] ـ أبو حمو موسى ـ المصدر السابق ، ص 85 .

[244] ـ إبن منظور ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 310-314 .

[245] ـ الماوردي ، المصدر السابق ، ص 294 .

[246] محمد محاسنة ، المرجع السابق ، ص 124 .

[247] ـ سورة آل عمران ، الآية 104 .

[248] ـ إبن خلدون ، المقدمة ، ص 205 .

وصاحب السوق كان يعرف بصاحب الحسبة، لأن أكثر نظره إنما كان يجري في الأسواق والخديعة ودين وتفقد مكيال وميزان وشبهة ، وقال بن سهل ـ رحمه الله ـ وقد سألت عن صاحب السوق هل يجوز له أن يحكم في عيوب الدور وشبهها وأن يخاطب حكام البلاد في الأحكام ، فقال ليس له ذلك أن يجعل له ذلك في تقديمه ، والحسبة تشابه ولاية المظالم من وجهتين ، وتخالفهما في وجهتين فتشابههما في الرهبة وجواز تعرض للإضطلاع ، وتخالفهما أن موضع ولاية المظالم لم عجز عنه القضاة والحسبة لما نزه عنه القضاة فرتبة المظالم أعلى ، ولوالي المظالم أن يرفع للقضاة .

والمحتسبة والمحتسب لا يرفع لأحدهما منها ، ويجوز لوالي المظالم أن يحكم وليس للمحتسب أن يحكم . ([249])

ـ ومن بين المصالح العامة المدنية التي يجب على المحتسب أن يتولاها هي كالتالي:

1 ـ منع الحاملين وأهل السفن من الإكثار في الحمل .

2 ـ الحكم على أهل المباني المتداعية بالسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضرر على السابلة .

3 ـ الضرب على أيدي العاملين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبية المتعلمين ، وهكذا نرى أن مهام المحتسب أمور تتعلق بالرقابة والآداب العامة والرفق بالإنسان للحيوان ، مما يدخل في إختصاص أجهزة الرقابة . ([250])

4 ـ فحص المقاييس والموازين الموجودة في الأسواق ، وإصلاح الخلل بها ومعاقبة المخالفين .

---

[249] ـ الونشريسي ، المصدر السابق ، ص 28 - 29 .

[250] ـ عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 205 .

5 ـ مراقبة أسعار الحاجيات وضبطها لتوفير الموارد الضرورية والحفاظ على الإستقرار .

6 ـ مراقبة إصلاح البيوت وبنائها لإزالة المتداعي منها ، ومنع الإعتداء الطرقات .

7 ـ مراقبة الأطباء والمدارس ، ومنع المعلمين من ضرب الصبيان ضربا مبرحا.

8 ـ تنظيف الشوارع ، وتوزيع المياه ومنع الأعمال الزائدة .

9 ـ مراقبة إقامة الشعائر والعبادات ، كالصلاة والصيام . ([251])

ـ شروط المحتسب : إشترطوا توفر صفات حميدة في شخصية المحتسب ، مثل العفة، والرفق واللين في القول والمواظبة على سنن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أما الشروط العامة المتفق عليها فهي كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي :

1 ـ مسلما : إذا لا ولاية لكافر على مسلم .

2 ـ حرا لا عبدا مملوكا .

3 ـ بالغا قادرا ، إذ تنضبط الأمور للصبي بعجزه العقلي الجسماني كاملا، يستطيع العاجز القيام بمثل هذه الوظيفة .

4 ـ عادلا : وهو من أهم الشروط التي ركز على توفرها على المحتسب .

5 ـ عالما : والقصد به العلم بأحكام الشريعة الإسلامية ، وهو من أهم الشروط أيضا.

[251] ـ بشار قويدر ، المرجع السابق ، ص 111 .

6 ـ ورعا : وهي من صفات آداب المحتسب ، لأن الورع يلطف من حدة الإسراف في الإحتساب ، وتطرق فيه زيادة على الحد المطلوب شرعا .

7 ـ مكلفا : أي منصبا من قبل المسؤول الأعلى ، وهو الخليفة أو الإمام أو الوالي في الأقاليم والولايات ، هذا شرط تميز له عن المحتسب المتطوع الذي يقوم بالخدمة الإجتماعية إحتسابا لله وطلبا للأجر والثواب . ([252])

ـ الحسبة عن الزيانيين :

رغم صمت النصوص التاريخية فإنه لا يستبعد وجود خطة الحسبة ، لدولة بني عبد الواد في عهودها الأولى خاصة وأن أبو حمو الثاني أشار إليها في كتابه إشارة السلوك، دون أن يتعوض إليها بالشرح كما جرى عليه الحال بالنسبة للمرات الخطط الأخرى ، كان يسمى في دولة بني عبد الواد " بصاحب الحسبة" . ([253])

وفي هذا يقول أبو حمو لولي عهده ، بأن يستعمل فراسته في قراءة منطويات المحتسب في قوله : " وهكذا تكون يا بني فراستك في صاحب الحسبة تجريحا لإمتحانه بمثل هذه النسبة إلى أن تعرف أحواله وما صار إليه مآله " . ([254])

أما الفترة الأخيرة من حياة الدولة ، فإن خطة الحسبة وبها كانت موجودة بدون شك خاصة وأن محمد بن أحمد العقاني مؤلف الكتاب المذكور في الحسبة كان قاضيا في مدينة تلمسان ، ولما كانت الموازين

---

[252] ـ بشار قويدر ، المرجع السابق ، ص 114 .
[253] ـ بوزياني دراجي ، المرجع السابق ، ص 246 .
[254] ـ أبو حمو موسى ، المصدر السابق ، ص 153 .

والمكايل من أهم إختصاصات صاحب الحسبة في كامل الأقطار الإسلامية ، فإنه يستحسن هنا إثبات بعض الأسباب الخاصة بالمكايل والموازين في دولة بني عبد الواد آنئذ . ([255])

وذكر عبد الرحمن بن خلدون عند حديثه عن حصار تلمسان ، بعض المكايل والميازين المستعملة في حضرة الدولة العبد الوادية أنئذ ومنها :

البرشالة : ويقول عبد الرحمن بأن قيمتها تعادل " أثنى عشر رطلا ونصف " . ([256])

غير أن أخاه يحي يقول بأن مقدار البرشالة هو " ثلاثة عشر رطلا " .

الرطل : ذكر يحي بن خلدون بأن المد الكبير يساوي ستين برشالة ، والبرشالة ثلاثة عشر رطلا .

المد الكبير : ومقداره ستون برشالة أو سبعمئة وثمانون رطلا . ([257])

وكان المحتسب يتولى مراقبة الأسواق في غالب الأحيان بنفسه ، أو يتخذ أعوان له وإذا كلف أحدهم بمهمة قصد المبيعات والمصنوعات ، فأنه لا يكلفه بصفة دائمة إنما يقوم بإستبداله من حين إلى أخر ، لما حدث بينهم وبين التاجر أو الصانع إتفاق ، وكان المحتسب يتجول على دابته محاطا بأقواله يحمل معه ميزانه الذي يزن به البضائع التي يشك في وزنها ، وإذا إرتاب في دكان أو مصنع يبعث له صبيا أو جارية للشراء منه ، ثم يختبر

---

[255] - نفسه ، ص 246 .

[256] - عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 198 .

[257] - يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 19 .

مع المشتري فإذا وجد به غشا تعرض لصاحب الدكان أو المصنع بالعقوبة المنصوص عليها . ([258])

النظم العسكرية :

إن النظم العسكرية والحربية لدولة الزيانية كانت متكونة من جهاز أمني هام حظي بإهتمام سلاطين بني عبد الواد وبينهم يغمراسن بن زيان وأبوحمو موسى ومن هذه النظم الشرطة ، الجيش ، الجوسسة .

1 ـ الشرطة :

أ ـ لغة : الشرطة من الشرط والشرط العلامة والشرط الساعة أعلامها ، ورجل الشرطي منسوب إلى الشرطة . ([259])

ب ـ إصطلاحا : هي وظيفة مهمتها إستدباب الأمن وحفظ النظام ، والضرب على أيدي الخارجين على القانون والأعراف والعامة أو الإعتداء على الناس ، وكان من واجباتها الرئيسية تنفيذ أوامر الخليفة أو الأمير ، وتنفيذ أحكام القضاء ومطاردة الجناة والمفسدين . ([260])

بذلك تكون في خدمة القضاء وتحت نظره ، ولكنهم أفردوها عن القضاء فيما بعد لحاجة الحكام إلى ذلك ، لما للقضاء من قيود شرعية تحد من مرونة صاحب الشرطة.

وأصبحت بعد ذلك مرؤوسة لصاحب السيف . ([261])

ـ شروط صاحب الشرطة :

لقد وضع الخلفاء والأمراء بعض الصفات والمواهب الواجب توفرها في صاحب الشرطة ، فمثلا الحجاج ين يوسف الثقفي والي العراق أراد أن

---

[258] ـ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 227 - 228 .

[259] ـ إبن منظور ، المصدر السابق، ج 7 ، ص 327 - 330 .

[260] ـ محمد حسن الزبيدي ، صالح صادق السباني ، المرجع السابق ، ص 141 .

[261] ـ عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 572 - 573 .

يعين صاحب الشرطة له ، فطلب من الناس أن يدلوه على رجل تتوفر فيه صفات التي تؤهله لهذا المنصب وقال : " دلوني على رجل شرطة ، فقيل : أي الرجال تريد ؟ ، فقال : أريده دائم العبوس طويل الجلوس ، سليم الأمانة أجف الخيانة ، لا يحنق في الحق على الجرة، يهون عليه سبال الإشراف في الشفاعة ، فقيل : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي "، فأرسل إليه يستعمله ، فقال له : " لست أقبلها لا تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك"، وقال : " يا غلام تاه الناس من طلب إليه حاجة فقد برئت منه الذمة " . ([262])

ـ الشرطة في عهد الزيانيين :

لقد أضيفت إليها سلطات قضائية تختلف عن السلطة صاحب المظالم ، ولهذا نجد صلاحيات هذه الخطة تتداخل في بعض الأحيان مع صلاحيات المظالم ، ولعل هذا هو السبب الذي يجعل الدولة الزيانية تسند هاتين الخطتين لشخص واحد ، كانت الشرطة في الأساس من الوظائف الشرعية الدينية كالحسبة والمظالم ، ثم توسعت قليلا إلى أن صار صاحبها ينظر في الجرائم . ([263])

في العهد الزياني تعذر علينا معرفة الفترة الزمنية التي نشأت فيها هذه الخطة والأعمال ، وإستخدموها في مكافحة الجريمة وإقامة الحدود ، وأعطوها عناية كبيرة ولتداخل مهام الشرطة مع المظالم فقد قلد بنو زيان هاتين الوظيفتين لشخص واحد وهو الفقيه العام أبو العباس أحمد المعروف بإبن الفحام ، ([264])وفي موضوع الشرطة قال بن الأمين القرطبي : " وضع صاحبها لشيئين أحدهما معونة الحكام من أصحاب المظالم ،

---

[262] ـ السيوطي (جلال الدين) ، تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط 1 ، 1351 ، 1902 ، ص 191 .

[263] ـ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 233- 234 .

[264] عبد العزيز فيلالي ، نفسه ، ص 234 .

وأصحاب الدواوين في حبس من أموره بحبسه وإطلاقه ، وأشخاص من كاتبوه بأشخاص وإخراج الأيدي مما دخلت فيه وإقرارها الثاني النظر في الجنايات وإقامة الحدود على من وجبت إقامتها عليه " . ([265])

تعرض السلطان أبو حمو موسى الثاني في كتابه " واسطة السلوك " ، لموضوع الشرطة وصاحبها الذي كان يسمى وقتذاك " بالحاكم " . ([266])

ويمكن أن نتعرف على مهام " الحاكم " أو أصحاب الشرطة بدولة الزيانين ، من خلال تلك الوصايا التي قدمها أبو حمو لولي عهده ، فيقول له فيها : " ثم يدخل صاحب شروطتك وحاكم بلدتك حضرتك ، ليخبرك بما يريد في ليلتك حتى لا يخفى عليك شئ من أحوال رعيتك وبلدك مع ضبط مملكتك ، فتسأله عن القليل والكثير والجليل من الأمور والحقير ، لئلا يتوصل أهل العناية للرعية بمضرة ولا أذية ، ولا يقع من الحكام جور في البلد ، ولا ظلم لأحد ، فإنه إذا علم الحاكم أو غيره ممن أهل العنايات وأهل الدعاوى والجنايات ، بأن الملك لا يغيب عنه شئ من أحوال بلده، فيمتنع كل منهم من إستطالة يده ، فيقف الناس عند حدودهم ويؤمنون من الجور في صدورهم ووردهم ، وفي هذا البقاء لنظام الملك وأمان للرعية من الهلاك . ([267])

في موضوع أخر من كتابه طلب أبو حمو من ولده بأن يتفرس في الحاكم وينظر في حاله ، فإن كان محبوبا من الأخيار فمعناه أنه مستقيم الحال سليم السلوك ، ثم ينصح ولي عهده بأن يتابع حال الحاكم " صاحب الشرطة " ، فأن رأى بأنه

---

[265] ـ أحمد بن يحي الونشريسي ، المصدر السابق ، ص 26 .

[266] ـ رشيد بوروبية وأخرون ، المرجع السابق ، ص 169 .

[267] أبو حمو موسى ، المصدر السابق ، ص 36 .

قد ظهرت عليه علامات الغنى وزادت ثروته عن حدها ، عندئذ يعرف بأنه يأخذ الرشوة يستغل سلطاته لمآربه الشخصية . ([268])

مع ذلك لم يوافق أبو حمو نفسه في فراسته لصاحب شرطته موسى بن يخلف ، حيث خانه في أخر الأمر ، وكان السبب المباشر في الفتنة التي حدثت بينه وبين ولي عهده([269])،كما تسبب في قتل كاتب سره يحي إبن خلدون ، وأشار عبد الرحمن بن خلدون إلى صاحب شرطة أبي حمو عندما تحدث عن مقتل أخيه يحي، فقال : " كان في الدولة لئيم من سفلة الشرطة يدعى موسى بن خلف ، وكان هو أيضا يخص بإبن خلدون وكاتب السلطان ، وترصده منصرفا من القصر إلى بيته بع التراويح ، وفي رهط من الأوغاد كان يطوف بهم في سلك المدينة ، ويطوف بهم بيوت أهل السر والحشمة في سبيل الفساد فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا " .([270])

كانت نهاية هذا الحاكم أن أبا حمو قتل صاحب شرطته موسى بن يخلف أشنع قتلة . ([271])

---

[268] ـ بوزيان دراجي ، المرجع السابق ، ص 249 .

[269] ـ نفسه ، ص 249 .

[270] ـ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 292 – 293 .

[271] بوزياني دراجي ، المرجع السابق ، ص 250 .

خاتمة:

عرف المجتمع ترابط وتكافل كبير ويعود دلك لكثرة الاوقاف ذاخل المجتمع التنس ساهمت في باء منشأت قاعدية كالمدارس والزوايا بالاضافة الى تقديمها يد المساعدة للفقراء والمحتاجين وانتشر الوقف الخاص داخل الاسر التلمسانية.

لم تخلو تلمسان من الكوارث الطبيعية فقد مرت بتا العديد من الاوقات الصعبة كالمجاعة الكبرى والمجاعة التي عرفتها من جراء الحصار المريني.

تمتع الفقيه المتصزف والشريف بالسلطة المعنوية بدأت مظاهرها واضحة على السعيد المجتمع فقد كان الفقيه مرجعا في ضبط الحياة العامة داخل المجتمع من دور الفقهاء في هذا الاخير وانتشار التصوف بين مختلف الاوساط الاجتماعية غير ان المجتمع عرف الفساد الذي يعود الى ضعهف سلطة الحكام وتسلط العرب.

بعد الببوادي والقرى عن حاضرة تلمساني حاضرة تلمسان جعلهعا مركة لانتاشار الجهذ واعتداء القبائل العربية والعصبية اذا كان هذا المجتمع مركز اهتمام الفقهاء وعينتهم للتطبيق مبذا الحسبةة في كل المناطق كما ادى ضعف الدولة الى غياب سبطة تسير اللمجتمع الريفي فقام الفقهاء بعذا الدور.

بالرغم من ان فـءة العبيدج كانت اسفل الهرم الا انها ادت الدور الهام داخل المجتمع كما نلاحظ ان الطبقالت العام كانت بعيدة عن الحكم ورغم ذلك كان لها دور في الاحداث السياسية الكبرى على الرغم من هشاشتها فان الدولة في اوقات الفتن والكوارث تستعين بتا لانها تمثل الغالبية الساحقة للمجتمع.

وفي الاخير نشير الـى انه على غرار جميع البحوث والدراسات فان دراستنا لا تخلو ا من النقائص اذ تبقى هناك نقاط تستحق التوةضيح والدراسة بشكل اعمق وبكثير من التحليل كنتظام الوقف والثأر وعليه نقول من بين المواضيع التي تقدم كافاق لدراستنا نجد::

- الفوارق الاجتماعية: بين المجتمع الحضري والبدوي واثره على سلوكية الفرد
- دور الجالية اليهودية في التبادل التجاري بين المغرب الاوسط والعالم المسيحي.

قائمة المراجع :

1 ـ الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، دار الأمة ، ط 1 ، 2009 م ، ج2 .

2 ـ الباز داوود ، النظم السياسية الدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية .

3 ـ التليسي : بشير رمضان ، جمال هشام الذويب ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المدار ، طرابلس ، الجماهيرية العظمى ، ط 1 ، 2004 م .

4 ـ الجمل محمد عبد المنعم ،الحضارة الإسلامية ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 م .

5 ـ الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، دار الأمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2000 م ، ج 2 .

6 ـ الخالدي محمود ، الإسلام وأصول الحكم ، عالم الكتب الحديث ،اليرموك ، 1426 هـ ـ 2008 م .

7 ـ الرزاق علي عبد ، الإسلام وأصول الحكم ، نوفمبر للنشر ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1988 م .

8 ـ الزبيدي محمد حسين ، صالح صادق السباني ، الدولة الأموية ، الجامعة المفتوحة طرابلس ، ط 1 ، 2002 م .

9 ـ محاسنة محمد ،الحضارة الإسلامية ، مركز يزيد للنشر ، جامعة مؤتة ، عمان ، ط1 ، 1426 ، 2008 م .

10 ـ الشيخ أبو عمران ، نصر الدين سيعدوني ، معجم المشاهير المغاربة ، المؤسسة الجزائرية لطباعة الجرائد ، 1925 .

11 ـ الطمار مجمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989 م .

12 ـ الفيلالي عبد العزيز ، الفكر السياسي في نظر أبو حمو ،مجلة الدراسات التاريخية، العدد العاشر ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1417 - 1997 .

13 ـ الفيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ، موفم لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ج 2 .

14 ـ المطوي محمد العروسي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1406 - 1986 م .

15 ـ الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، دار الكتب العربي ، الجزائر ، ج 3 .

16ـ أنيس إبراهيم ورفاقه ، المعجم الوسيط ، دار المعارف المصرية ، إعداد وإصدار مجمع اللغة العربية المصرية .

17 ـ بوربية رشيد وموسى لقبال ، عبد الحميد الحاجيات ،الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي منذ الفتح إلى بداية العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984م .

18 ـ جبر حسن ، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ط 1 ، 1999 م .

19 ـ حاجيات عبد المجيد ، أبو موسى الزياني ، حياته وأثاره ، دار المغرب الغربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1394 ـ 1974 م .

20 ـ حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1978 م .

21 ـ حساني مختار ، تاريخ الدواة الزيانية ، دار الحضارة ، ج 1 .

22 ـ حسن حسين إبراهيم، تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 7 ، 1968 م .

23 ـ حنان قرقوتي ، في الحضارة الإسلامية حول التدوين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ونظام الحكم ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط1 ، 1424 م .

24 ـ خلاصي علي ، الجيش الجزائري في العصر الحديث ، دار الحضارة ، ط1 ، 2007 م .

25 ـ دراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 .

26 ـ عبد الكريم غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ الإسلامي ، بيروت ط 1 ، 1426 ، 2008 م .

27 ـ عمور عمار ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2007 م ، ج 1 .

28 ـ فركوس دليلة ، الوجيز في تاريخ النظم ، دار الرغائب ، الجزائر ، ط 1 .

29 ـ الصمد حمد محمد ، مظالم في عهد الخلفاء الراشدين ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط 1 ، 1414 .

30 ـ قويدر بشار ، دراسات في النظم الإسلامية ، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد ، منشورات حلب ، الجزائر .

31 ـ ماجد عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، مكتبة أنجلو المصرية ، 1972 م .

32 ـ النبراوي فتيحة ، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربية ، القاهرة ، ط 14 ، 2004 م .

32 ـ مالسان هانريش فون ، ترجمة أو العبد دودو ، ثلاث سنوات غربي شمال الإفريقي ، دار الأمة ، الجزائر ، ط 1 ، 1974 ، ج 2 .

33 ـ مرتاض محمد ، من أعلام تلمسان ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1438 ـ 2004 م .

24 ـ مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب ولأندلس ، مكتبة الأسرة ، طبعة جديدة، 1992 م .

الفصل الاول: الحياة الاجتماعية

المبحث الاول: المجتمع الرياني

المطلب الاول: المجتمع الحضري

المطلب الثاني: المجتمع البدوي

المبحث الثاني: فئات المجتمع

المطلب الاول: البرب

المطلب الثاني: العرب

المطلب الثالث: اهل الذمة

الفصل الثاني: ازمات المجتمع الزياني

المبجث الاول: مظاهر الفساد في المجتمع

المطلب الاول: غش والرشوة

المطلب الثاني: اللصوصية وقطع الطريق

المطال الثالث: الانحلال الخبقي

المبحث الثاني: المجاعات والاوبئة

المطلب الاول: المجاعة واسبابها

المطلب الثاني: الوباء واسبابه

المطلب الثالث: اهم المجاعالت والاوبئة ونتائجهما

الفصل الثالث: وسائل حل الازمات

المبحث الاول: الرعايا الاجتماعية والصحية

المطلب الاول: الرعاية الاجتماعية

المطلب الثاني: الوقف

المطلب الثالث: الادوية والعلاج واشهر الاطباء

المبحث الثاني: وسائل مكافحة الفساد

المطلب الاول: الدواوين والقضاء

المطلب الثاني: القضاء والحسبة

المطلب الثالث: الشرطة والسجون